أبو القاسم محمد كرّو

# الشابي

## حياته - شعره

منشورات
المكتبة العلمية ومطبعتها
شارع المشرق - بيروت

أبو القاسم محمد كرّو

# الشابي

## حياته ـ شعره

أنت يا شعر فلذة من فؤادي
تتغنى .. وقطعة من وجودي
فيك ما في جوانحي من حنين
أبدي الى صميم الوجود .. "

« الشابي »

منشورات
المكتبة العلمية ومطبعتها
بيروت

الطبعة الأولى

١٩٥٣

# الاهداء

إلى عبقرية الشابي وروحه

وإلى محبي شعره، ومقدري نبوغه

ارفع هذه – البداية – من الثمرات

التي جنيتها من دراستي لحياته وأدبه

أبو القاسم محمد كرّو

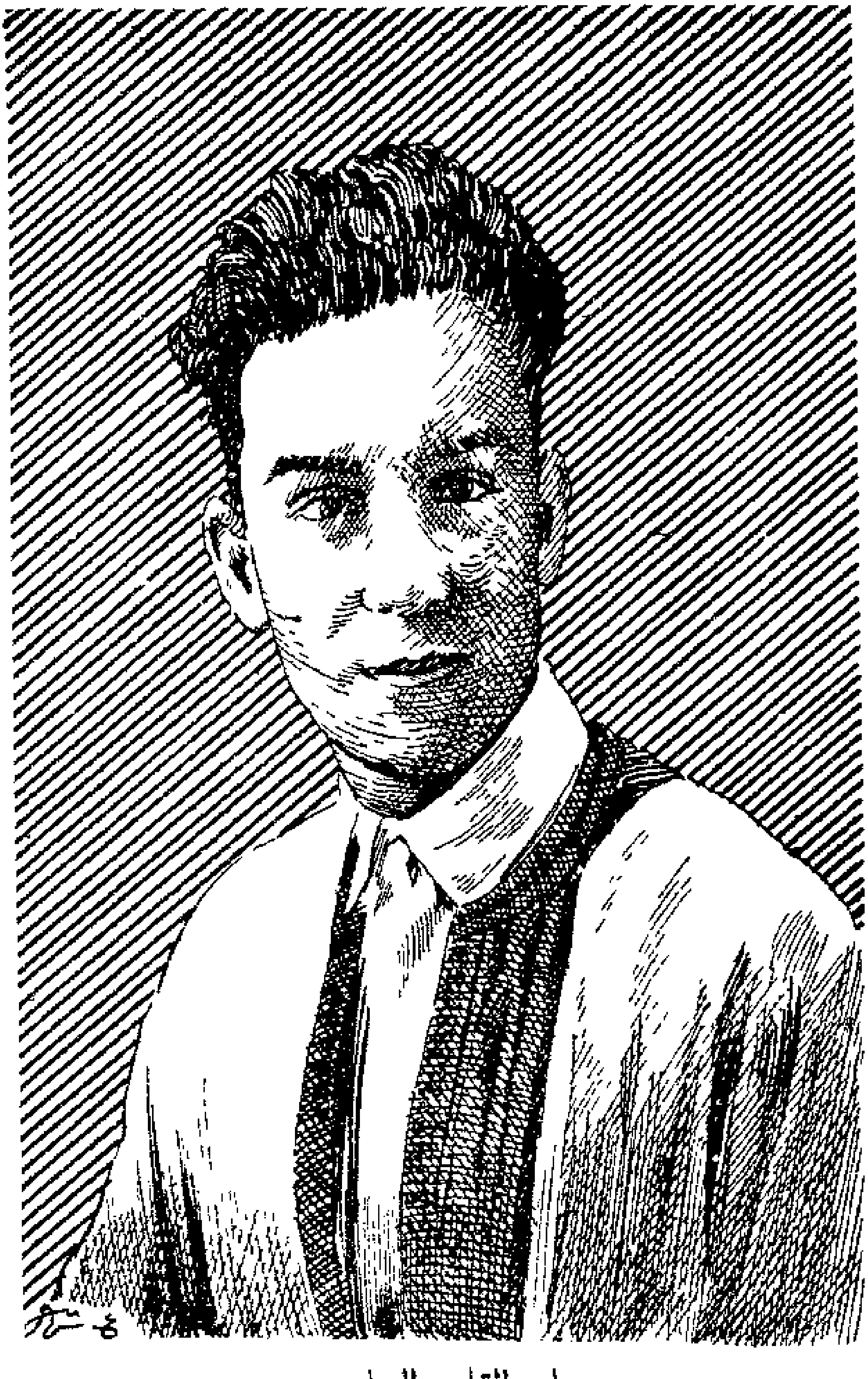

ابو القاسم الشابي

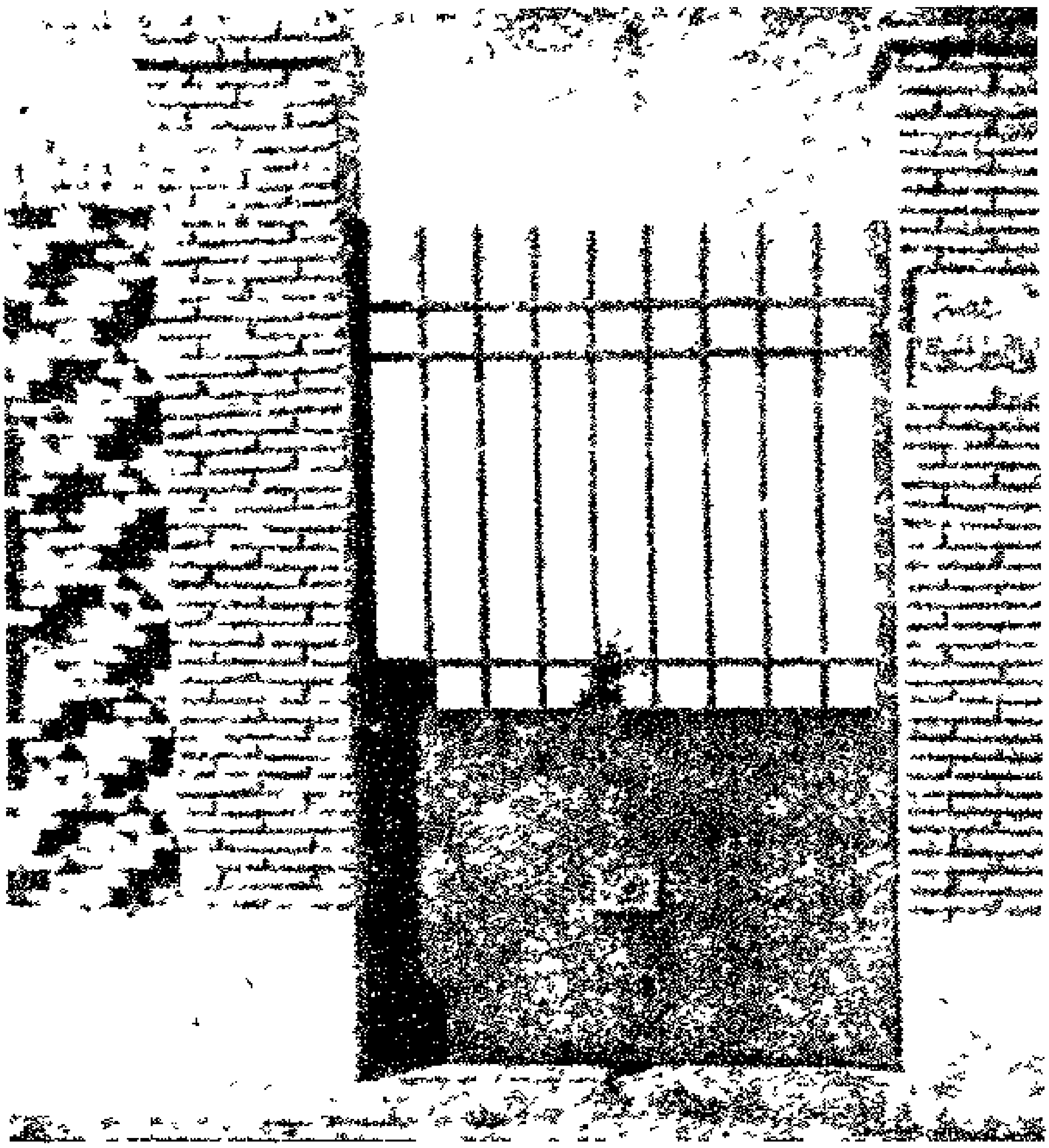

باب روضة ابي القاسم الشابي

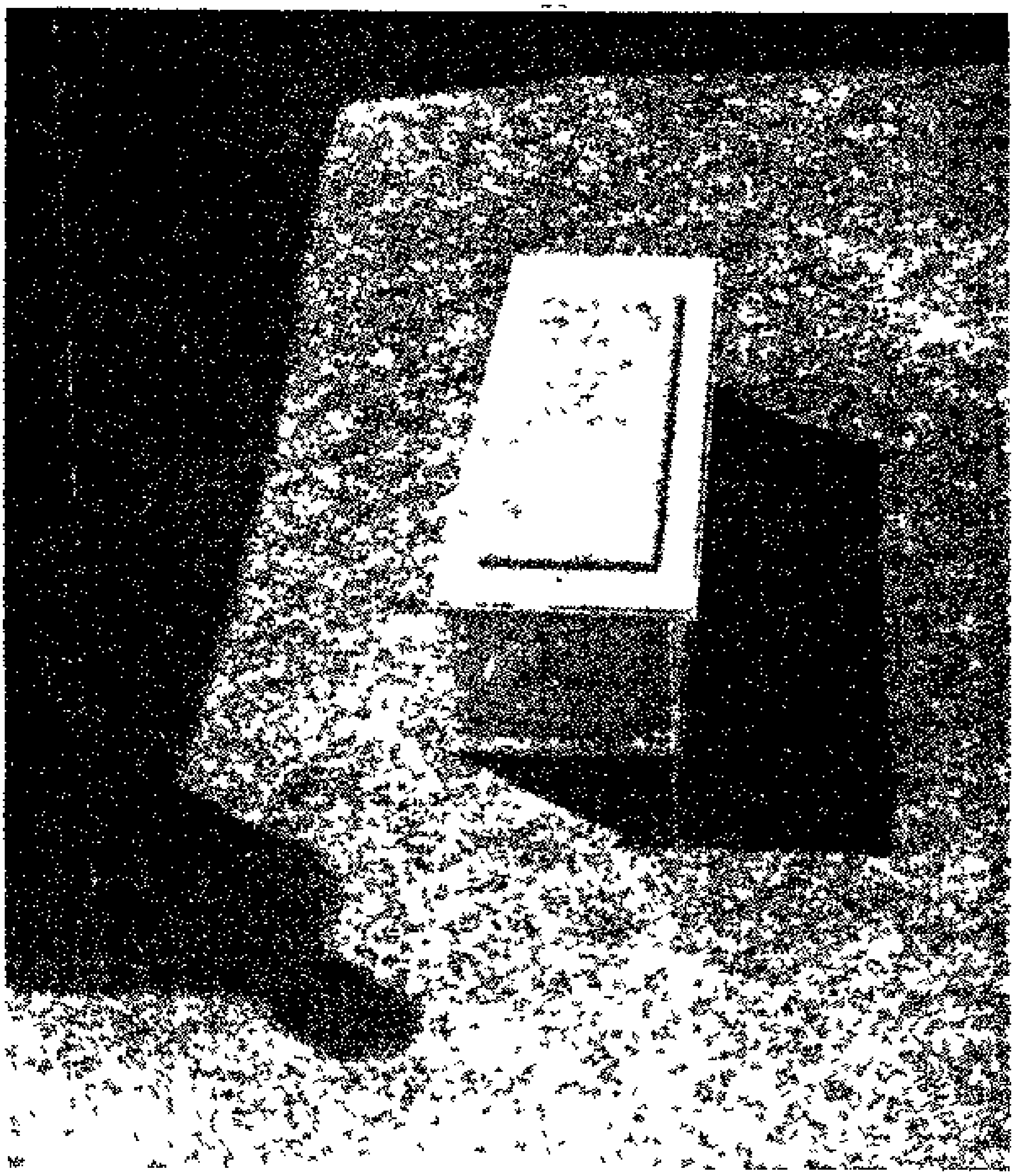

ضريح ابي القاسم الشابي

# مقدمة

ان الاكثرية الساحقة من ابناء الشرق العربي، لا تعلم شيئاً عن حقائق الحياة في بلاد المغرب العربي، باقطارها الثلاثة (تونس، الجزائر، مراكش) والقليل منهم من أتيح له ان يعلم نشيء يسير او عير يسير مما يعانيه ابناء المغرب العربي من اضطهاد استعماري بغيض. وذلك منذ وقت قريب، حيث تكونت بالقاهرة ـ بعد تأسيس جامعة الدول العربية ـ مكاتب لهذه الاقطار، تقوم بالدعاية لقضاياها والتعريف بها ثم وحدت في شباط (فبراير) ١٩٤٧ تحت اسم «مكتب المغرب العربي» بالقاهرة فصلاً عن المكاتب الاخرى التي لا تزال تعمل عملها في مصر وفي غيرها من الاقطار العربية والاوربية ولكن هذه المكاتب جميعاً بحكم المشرفين عليها وبقصد الغاية من وضعها، فان عملها كان ولا يزال سياسياً او مطبوعاً بطابع السياسة لذلك أحببت ان اقدم الى القراء العرب في اقطار الشرق العربي علماً من اعلام النهضة العربية في تونس، ليعلموا اي حد بلغته تونس في نهضتها الادبية والثقافية الماثلة اليوم

ولقد تحيرت بادىء الامر فيمن أختاره من اعلام تونس ورجالاتها ، وهم كثر في كل حقل من حقول الحياة وكل مجال من مجالات الفكر والمعرفة . ولكن هذه الحيرة ما لبثت ان تلاشت مرة واحدة حين استحضر الذهن اسم نابغة الادب العربي المرحوم « ابو القاسم الشابيّ (١) » . الشاعر المجدد والكاتب الثائر على كل عتيق لا ينفع وقديم لا يفيد . وقد زادني استحساناً لاختياري ، انه معروف لدى كثير من ادباء الشرق العربي . غير ان معرفتهم له لا تتعدى اطلاعهم على مختارات قليلة من شعره ، وترجمة قصيرة لحياته لا تخلو من خطأ واجحاف وذلك لعدم وجود مصدر صحيح تؤخذ منه المعلومات الصادقة عن حياة الشابيّ وأدبه . لا سيما وان الادب التونسي عامة ، وحياة ادبائه خاصة ، يكتنفهما الغموض والجهل التامان . ولا اكون مغالياً حين اقول : ان اخواننا الادباء في الشرق العربي لا يعرفون من الادب العربي في تونس واعلامه ، الا نزراً يسيراً ، يأتيهم هائماً في بعض المجلات الشرقية ، او التونسية التي يتاح لها ان ترى بلاد الشرق ويراها ابناؤه . وبديهي ان ذلك كله لا يستطيع معه الاديب الكبير ـ فضلاً عن القارىء العادي ـ ان يكون رأياً خاصاً عن الادب العربي في تونس ، او تتجلى عنده صورة حية واضحة لما بلغ اليه الادب التونسي في آفاقه من صعود وتجدد واشراق .

---

(١) من الخطأ الشائع على ألسنة الادباء في الشرق ، قراءتهم لقب الشاعر « الشابي » بتخفيف الياء والصواب تشديدها .

على اني لست بحاجة بعد، لأن ابين الاسباب التي جعلت ابناء الجناح الايسر يعيشون في عزلة تامة عن اخوانهم في الجناح الايمن، وجعلت هؤلاء يكادون لا يعلمون شيئاً يستحق الذكر من واقع الحياة في بلاد المغرب العربي، ومدى ما بلغت اليه أقطار هـذه البلاد في نهضتها الماثلة اليوم، من تقدم وازدهار وتجدد واسعات. سواء في ميادين السياسة والاقتصاد ام في الحقول العلمية والادبية ام في مناحي الحياة الاخرى.

نعم لست في حاجة لبيان الاسباب، لأن الكبير والصغير والمتعلم والجاهل يعلم اليوم انها اسباب استعمارية خالصة، صنعها الاستعمار الغربي في مصانع مطامعه، واقامتها سداً حصيناً بين اقطار العرب، اغراضه القذرة ومصالحه الحقيرة.

وقبل ان يمضي معي القارىء نحو المقدمة من فصول هـذا الكتاب، اود ان اقدم اليه أربع ملاحظات تتعلق بما سيأتي من حديث، وبما سيأتي من مختارات الشعر والنثر

اولاها اني لم اقدم كل ما كان يجب ان يقدم من حياة الشابي وجوانب شاعريته وانما بذلت جهدي في ان اعطي للقارىء صورة واضحة المعالم، كاملة الخطوط، عن حياة الشابي وبيئته، وجوانب اخرى تتصل بهذين اتصالا وثيقاً مرة وغير وثيق مرة اخرى.

ثانيهـا: ان المختارات من شعر الشابي، ليست تعني انها جميعاً من جيد شعره وانما اخترتها ـ قصداً ـ متنوعة، لتمثل لنا مراحل شاعريته واطوار

حياته ولتتيح للقراء ان يتفهموا ـ اعتماداً على مواهبهم ـ مراحل التكوين في شخصيته ، وامداء الانطلاق في شعره . وبما ان ادراك هذه المراحل ، مرحلة فمرحلة ، وتحديد هذه الامداء مدى بعد آخر ، امر غير ميسور بكل معنى اليسر ، فقد توخيت ايضاح ذلك بقدر المستطاع ، فجعلت المختارات ذات قسمين : احدهما ما قاله الشاعر قبل العشرين من عمره ، والآخر ما جاء بعد ذلك . ولعل في هذا بعض ما يعيننا على تفهم شعره ومعرفة شاعريته بوضوح كثير .

ثالثها ـ ان هذا الشعر المختار ، ليس كل ما ترك الشابي ، او احسنه ، وانما هو مجموعة مختارة من كل ما استطعت الحصول عليه من شعره . واني وان كنت غير مطلع على ديوانه ( اذ لا يزال سراً في اعماق الغيب ) الا انني استطيع ان اؤكد ان في هذا الديوان شعراً اكثر مما نشر على الناس في هذا الكتاب وفي غيره من النشرات الاخرى وان من بين هذا الشعر قصائد رائعة قد تفوق الكثير مما في هذه المختارات .

رابعها . انني لم احاول ان افرض شيئاً على القارىء في كل ما كتبت . فله ان يقبل منه ما يشاء وان يرفض ما يريد غير انه سوف لا يستطيع ان يرفض ناحيتين اثنتين ، بأي حال من الاحوال .

احداهما تلك الحقائق والمعلومات التأريخية المنوعة ، التي اشتملت عليها بعض الفصول من هذا الكتاب واني اذ أثق في هذا الامر بالذات ، فلأني أتحدث عنه حديث من استقى الحقائق من مصادرها الأصلية ،

واستخلص المعلومات من البيئة التي عاش فيها الشاعر ، ومن كل المنابع الاخرى ذات الصلات الوثقى بالشاعر نفسه وبحياته ذاتها . فقد اتصلت بالكثيرين من زملائه واصدقائه واقاربه ، وبالكثيرين من الادباء التونسيين الذين عاصروه ولا يزالون على قيد الحياة . وكنت ابحث عن الصغيرة والكبيرة ، وأسأل عن كل الاشياء القليلة الاهمية ، والبالغة القيمة ، ما دام في معرفتها شيء من العلم والفهم لنواح جديدة من حياة الشابي واطوار شاعريته الفذة . فحديثي عنه ـ اذن ـ حديث مواطن من مواطنيه ، وحديث امرىء شغف بشعره ، وبهذه الحياة الرائعة المثلى ، التي عاشها مبدع هذا الشعر . وقد سبق ان اشرت الى الاسباب التي جعلت حياة الشابي وادبه يكتنفهما الغموض والخطأ في الشرق العربي وهذا وذاك ما دفعني الى القيام بهذا العمل ، والى الاعتقاد بان الفائدة من كل هذه الجهود التي بذلتها فيه ليست قليلة الاهمية

ثانيتهما ان الشابي كان نسيجاً من العبقرية وحده ، ومجدداً بكل ما في هذه الكلمة من معان ومفاهيم وعندي انه ليس مجدداً فحسب ، بل زعيماً جريئاً بين المجددين . ولسوف يتحقق اكثر من ذلك يوم يتاح للقراء ـ وللادباء منهم بوجه خاص ـ ان يطلعوا على كل ما خلفه الشابي من شعر ونثر ، ويومئذ سيحتل مكانته الرفيعة ، لا بين شعراء العربية وحدهم بل بين الشعراء العالميين ايضاً !

ولن يبعد كثيراً ذلك اليوم الذي نرى فيه ادب الشابي يترجم الى

كثير من اللغات العالمية . بل ان طلائع هذا اليوم قد بدأت فعلاً ، فقد ترجمت عدة قصائد من شعره الى عدد من اللغات الحية كالفرنسية والايطالية والانكليزية . وقد اعجب ادباء هذه اللغات اعجاباً بالغاً بها ، لا سيما حين علموا بان شاعرها عربي خالص في لغته وثقافته ، فهو لم يعرف في حياته لغة اجنبية واحدة ، وبذلك بعد عن الطابع العربي المباشر ، واخلص للغته العربية اخلاصاً جعله يتعالى في سماء مجدها الأدبي الرفيع .

وهذا الشاعر الايطالي « فويدو ميدينة » الذي عاش في تونس زمناً من حياته غير قليل ، يناجي زميلاه الشعراء في كتابه « افريقية » فيقول عن الشابي وعن « سكاليري » (١) . مهدياً اليهما هذا الفصل الرائع .

( باسميكما يزداد كتابي هذا ثروة ، ولولاكما لكان اصغر اللون حقيراً واني اهدي هذه الصفحة لذكراكما ـ يا اخوي في القافية ـ لأنكما كنتما وحدكما مطربي هذا الوطن .

---

(١) « .. وسكاليري ، هو شاعر بائس ولد بتونس ، من اب صقلي وام مالطية ، وعاش بها للفقر والجوع والعناء ، ومات وعمره ثلاثون سنة بداء الصدر والجنون بمأوى « بالرمو » من جزيرة « صقلية » واشعاره نشرها في مجلات تونسية متباينة ، وجمعتها وحدة كتاب الشمال الافريقي الفرنسيين ، واذاعتها في الناس مصدرة بكلمة للاستاذ « دوربل » . ويعجب القارىء اذ يعلم ان قصائده لا تتجاوز الخمسة والثلاثين صفحة ، ومع هذا فلها كل الفضل فيما يتمتع به سكاليري من ذيوع وشهرة ، وبها استطاع هذا البائس ان يمد الى قلوب الكثيرين ويأخذ من احترامها بنصيب غير تافه ، وهي قصائد او فقل هي مشاهد دامية من حياة البؤس والعناء ، وتقرأها واذا انت بلقاء صديق بل تلقاء اخ ، لا تملك له ـ وهو تحت اطباق الثرى ـ غير العطف ، ولا تستطيع لتبرمه وتشاؤمه غير الاشفاق والرثاء .. » . عن مجلة العالم الادبي التونسية من مقال بقلم الاستاذ المرحوم محمد الشروش ع ٣ سنة رابعة ص ٦٠ .

واذا ما تحرك النخيل وداعبته الرياح ، فأنا لا افكر إلا فيك يا شابي !.

مهما مررت من شارع «المالطيين» (١) فانت يا سكاليري هو الذي تمر امامي.

لقد ملأتما كافة اطراف هـذا البلد بلغتكما الموجعة ، واستشيتما محال المآذن والمساجد ، وشوارع تونس الملتوية ، ولـكن تعاريدكما كانت دائماً — يا اخوي — حزينة يائسة !

شأن اغانيكما شأن البلابل التي تحتمي في الظلمات لا لميلها عنها ، ولا لأنها تخشى النور ولـكن لأن الشمس تحدث لها اوجاعاً كثيرة . . احب الشمس التي تجلب السرور والخير ، اما انتما فانكما لم تقدرا قط على قبول هذا السرور وهذا الخير !

لقد كان نداء الشمس للحياة والسرور مصادماً لحركتكما ، جارحاً لعواطفكما واني لاعذركما يا اخوي واني لخالكما !

لقد بحث كلاكما عن الوحي والالهام في المظاهر السمحة العريبة ، في العالم !

انت يا شابي كان قلبك يتألم ويتمطر عند رؤية الطبيعة وهي ثائرة ، والبحر وهو متلاطم بالامواج !

وانت يا سكاليري ! كنت تجد راحتك في المخلوق الانسان الثائر !

لم يتطرق السرور ولا الانتشاء قط لاشعاركما .

لقد اتحد روحكما وتفكيركما وقلبكما في كل ما كان يعرف بالندم والدموع!

---

(١) احد شوارع العاصمة التونسية

لقد تقمّا الى المرأة دون ان تمسا في حقها بكلمة استحقاق قط !
لقد قصيتما في مستهل الحياة ، وتحملتما طيلتها استرقاقاً لا يعرف الرحمة.
ولقد ذاب عذابكما وغاب شقاؤكما مع اسرار الشرق .. ! ) (٢) .

حقاً ، لقد ذاب عذاب الشابي وغاب شقاؤه في احضان الابدية ، وانطلق الى كون من ضياء ومن نور ، ليعانق في رحابه عرائس الشعر وعذارى العبقرية

وها أنا اعرض على الناس آلامه وعذابه وشقاءه وأساه ، مجموعة في هذا الكتاب ، الذي هو اول عمل يتم بهذا النوع عن حياة الشابي وادبه ، اذ لم يظهر حتى الآن في مجال الادب العربي كتاب يتحدث عن الشابي بأي لون من ألوان الحديث ، رغم ما في ادب الشابي وحياته من مجالات القول والتعبير.

واذا كان ادباء الشرق العربي على حق في عدم قيامهم بشيء في هذا المجال لعدم توفر المعلومات والنصوص عندهم ، فان ادباء العربية بتونس والمغرب العربي عموماً ، لمسؤولون عن هذا التقصير المخجل في حق شاعرهم ابي القاسم فهم اكثر الناس اتصالا به وبأدبه في حياته وبعد موته وهم المسؤولون عن آثاره ودراسة أدبه ومع كل هذه المسؤوليات الجمة والحقوق البينة فانهم لم يفعلوا شيئاً لنشر ادب الشابي ودراسته ، سوى اعمال صغيرة مبعثرة في المجلات والحفلات التذكارية التي تقام للشابي كل سنة تقريباً ولا يزال ديوانه « أغاني الحياة » مجهول المصير كما لا تزال مؤلفاته الاخرى

---

(٢) عن مجلة الثريا التونسية ع ٢ س ٣ ص ٣٥

(لدى اهله واصدقائه) عرضة للضياع والاندثار ومن يدري، فلعل بعض آثاره قد عفى عليها الدهر واصبحت في اعماق الفناء فلا واجب الادب حرك الايدي للعمل، ولا حقوق الصداقة ايقظت الضمائر وبعثت في النفوس همة لاحياء آثاره ونشرها على الناس واذا كان لزاماً علينا ان نذكر الحق ونسجل الوقائع للتأريخ، فانه لواجب علينا ان نذكر بالثناء والتقدير الاستاذ زين العابدين السنوسي(١) الذي عرّف القراء في المغرب بالشابي وأدبه، ونشر في كتابه «الادب التونسي في القرن الرابع عشر» مختارات من شعر الشابي، وهو بعد لم يبلغ العشرين من عمره، كما تولى نشر كتابه الرائع «الخيال الشعري عند العرب» وذلك فضلاً عن العدد الخاص الذي اصدره من مجلته «العالم الادبي» في ذكرى الاربعين لوفاة الشاعر وعن كل ما احتوته مجموعات مجلته من آثار الشابي، ودراسات مقارنة بينه وبين بعض الشعراء الغربيين الى خدمات اخرى ليس هنا مجال تفصيلها

ومن الحق كذلك ان نذكر بالثناء والتقدير الاستاذ نور الدين بن محمود(٢)، لما أسداه للادب العربي من خدمات بنشره بعض اشعار الشابي في مجلتيه «الثريا والاسبوع» وعنايته بكل ما يتصل بهذا الشاعر وآثاره

واني لأهيب بالادباء في المغرب العربي عامة وفي تونس خاصة ان

---

(١) هو صاحب «دار العرب للطبع والنشر بتونس» ومدير جريدة «تونس» ومجلة «العالم الادبي».

(٢) هو صاحب «دار المعرفة للنشر والتوزيع»، ومؤسس «دار عمرى» اكبر دار للطبع في المغرب العربي، ومدير مجلتي «الثريا» و «الاسبوع»

ينهضوا لاداء واجبهم نحو هذا الشاعر العبقري ، وتجاه آثاره . فلقـد مضت تلك الفترة المظلمة . التي كان يخشاها بعضهم ، واصبح شعره اليوم ، غذاء للعواطف والقلوب . وادرك الجيل الجديد مدى ما في هذا الشعر من القوة والحيوية ، ومدى ما يحويه من صادق الشعور وعميق الصور . وان املي فيهم لكبير . اما احوابي الادباء في جناح العروبة الايمن ، فانهم سيجدون في هذا الكتاب ـ نفسميه ـ مجالا فسيحاً يتيح لهم الدراسة العميقة ، والعمل العمي المحكم ، لفهم نفسية الشاعر والنفود الى اعماق قلبه وخبايا معانيه .

واخيراً ارجو ان اكون قد وفقت الى عرض حيـاة الشابي عرضاً شاملاً ، والى ايضاح جوانب ادبه بأكمل صورة عرضت حتى الآن . واتمنى ان اكون بذلك قد عرفت القراء في الشرق العربي جانباً من الأدب العربي في تونس ، واغلقت باباً كان مفتوحاً للخطأ والتصحيف في حياة الشابي وأدبه . وعسى ان يتاح لي في مقتبل الايام تقديم ألوان جديدة اخرى من أدباء العرب وحياتهم في تونس ، وفي بقية اقطار المغرب العربي

بغداد ٢٥/٣/١٩٥٠ — ابو القاسم محمد كرو

# الحيـــاة الثقافية

## لمحات من الماضي

للقطر التونسي حركـة علمية وأدبية متتالية الانتاج ، عريقة في التاريخ لا سيما منذ الفتح العربي حتى يومنا الماثل. ولو ان احـداً استعرض التاريخ التونسي ـ قبل الاسلام وبعده ـ لوجد ان البلاد التونسية كانت منذ عشرات القرون موطناً لحضارات عديـدة نشأت فوق ارضها وبجهود ابنائها ، او جاءت عن طريق المهاجرين والزاحفين. وفي طليعة هـذه الحضارات حضارة قرطاجنة التي دامت سبعة قرون كاملة ، تسيطر على حوض البحر الابيض المتوسط وتنافس روما على تجارته ، وكادت تقضي على روما نفسها في زحف « هانيبال » القائد القرطاجني الشهير. وتجيء بعد ذلك حضارات اخرى اهمها الحضارة العربية التي بدأت في منتصف القرن الاول الهجري ، حين وضع القائد العربي عقبة بن نافع الأسس الاولى لتشييده مدينة القيروان ، التي تشهد آثارها اليوم بعظمة الفن العربي وقوة الحضارة العربية وروعتها. ومنذ قامت مدينة القيروان ، اي منذ ثلاثة عشر قرناً ، والحضارة العربية تزخر ينابيعها على جوانب الحياة التونسية في شتى ميادينها

ومظاهرها . ولو اتيح لبعضكم - ايها القراء الاعزاء - ان يزور البلاد التونسية ، لشاهد بنفسه مظاهر العمران والفن العربي الاصيل ، في طراز المباني والملابس ، وفي النواحي الاخرى من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفنيـة .

ولست بحاجة بعد ، لان استعرض لـكم تاريخ الأدب والثقافة العربية في تونس ، اذ يكفي ان اذكركم باعلام تونسيين ملأت شهرتهم الآفاق ولا تزال مؤلفاتهم غذاءاً شهياً للفكر البشري

ان في طليعة هؤلاء ولي الدين ابن خلدون وهو في غنى عن التعريف ، ثم جمال الدين ابن منظور صاحب لسان العرب ، اكبر موسوعة في اللغـة العربية ، فضلاً عن مؤلفاته العديدة الاخرى . وابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي العالم الرياضي الـكبير ، والشاعر الـكفيف المبدع القائل .

لا اظلم الليل الطويل واشتكي ... منـه ، ومالي في الصباح رجاءُ
من كان يطمع في الصباح براحة ... ويسره ان لاح منه ضياءُ
فسواي متصل الظلام بصونه ... الليل عنـدي والنهـار سواءُ

( ثم ابن شرف صاحب زهر الآداب الذي نشره وعلق عليه الدكتور زكي مبارك وابن ظفر الصقلي هو اول من الف في أدب الاطفـال . وابن رشيق صاحب العمدة ، الكتاب الادبي الشهير وحازم القرطاجـي هو اول من اتخذ من فن الجمال الادبي والمناهج الادبية علماً خاصاً قائمـاً بذاتـه وابن حمديس الذي علم الايطاليين القافية والزجل ، والشعر الغنائي والوصفي

وابن الجزار من الاطباء العالميين المعتمدين في المذهب والتدريس طوروها من القرن العاشر الى القرن السابع عشر ميلادياً . وعلي بن ابي الرجال هو من اساطين الفلك في العصر الوسيط ، وقد كانت كتبه معتمد كوبرنيكس محيي علم الفلك الحديث . اما محمد بن سحنون وابو الحسين القابسي وابن خلدون فهم اول من وضع علم التدريس وخصه بالتأليف ، وقد اقتبست تآليفهم في علمي التدريس والتربية الحديثين . امـا الملك المعز ابن باديس فهو أول من ألف في فن الخطوط وانواعها ، وصناعة الرق والورق والتجليد . اما ابن الصلت المهدوي وابراهيم الرقيق القيرواني فهما من عظماء المؤلفين في فن الموسيقى في تاريخ الثقافة العربية )(١)

هؤلاء جميعاً هم قلة يسيرة من اعلام الثقافة والادب العربي في تونس الذين بنوا مجد العروبة فيها ، وشادوا حضارة العرب على ارضها ، ونشروهـا في ارجاء من العالم . وحسبكم ان تعلموا ان معالي الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب عضو تونس في مجمع فؤاد الاول للغة العربية قد ألف كتاباً ضمنه ترجمة الف ومائتين من العلماء والادباء الافارقة ، وتحقيق اثـني عشر الفاً من مؤلفاتهم (٢)

اما أثر التونسيين في تأسيس الجامعات ، فان اعظم الجامعات الاسلامية

---

(١) مقتبس بتصرف عن مجلة المباحث التونسية من مقال « في الثقافة التونسية » ع ٢٩ ــ ٣٠ بقلم الاستاذ عثمان الكعاك امين القسم العربي من دار الكتب التونسية

(٢) لا يزال هذا الكتاب مخطوطاً عند مؤلفه . واسمه « صدور الافارقة » وقد نشر منه مؤلفه عدة فصول في مجلة « الثريا » التونسية

في العالم الاسلامي اليوم هي من تأسيسهم . فالجامعة الزيتونية بتونس بناه عبد الله بن الحجاب سنة ١١٤ هـ . وجامعة القرويين بفاس بنتها الاميرة فاطمة ام البنين سنة ٢٥٥ هـ . والجامعة الازهرية في القاهرة بناهـا المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٦٥ هـ . وليس هذا فحسب فان عرب تونس قد ضربوا بسهم في تأسيس الجامعات العلمية باوربا ، وذلك فضلاً عن جامعة « دار الحكمة » بالقيروان . اما جامعاتهم باوربا فهي : جامعـة بالرمو ، التي أسسهـا بنو الحسين حكام صقلية التونسيين . وجامعة كاسينو التي كان يدرس بها اساتـذة تونسيون ، وبكتب تونسية وكان بعض الاساتذة التونسيين بهـا ينقلون الى اللاتينية امهات الكتب العربية في كافة العلوم فاذا علمنا ان النهضة العلمية الاوربية الحديثة ، قد انبثقت من جنوب ايطاليا ، علمنا الى اي حـد كانت عظيمة ورائعة تلك الخدمات التي اسداها التونسيون الى الذهن البشري والثقافة العالميـة .

# النهضة الحاضرة

أن الجذور الاولى للنهضة الثقافية الماثلة اليوم في تونس ، تعود الى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، حين قام المصلح التونسي الكبير الوزير خير الدين باشا ، بوضع أسس ثابتة لنهضة علمية واجتماعية شاملة ، اثمرت في عهده ولا تزال تعطي احسن الثمرات واشهاها ، وقد بدأ خير الدين سلسلة اعماله الاصلاحية بايجاد معهد الصادقية للعلوم واللغات الاجنبية. وقد تخرج في هذا المعهد عدد هائل من رجالات الفكر والعلم ، ولا يزال حتى اليوم يقدم في كل جيل رجالا من خيرة الأدباء والعلماء ، والى جانب هذا المعهد وضع قانوناً لاصلاح التعليم وتنظيمه بالجامعة الزيتونية ، التي يعود اليها الفضل الاول في نمو الأدب واللغة العربية في عهودها المتأخرة. كما ارسل البعوث العلمية لفرنسا وايطاليا ، وما لبثت هذه البعوث ان عادت الى بلادها فساهمت في بناء صرح النهضة الحديثة مساهمة فعالة. الى آخر ما قام به هذا الوزير المصلح من اعمال جليلة باهرة في كافة الميادين الاخرى

وفي ١٢ مايس ١٨٨١ نكبت البلاد بالاستعمار الفرنسي البغيض ،

ولا تزال تعاني ظلمه وعدوانه رغم مرور سبعين عاماً على احتلاله البلاد .
وقد سلك الاستعمار في هذه المدة كلها سياسة اجرامية للقضاء على هذه النهضة في مهدها ، محاولا ابقاء الشعب في حالة من الجهالة والتأخر تفسح أمامه المجال للاستغلال الاقتصادي القذر ، وتحقيق مطامعه الشريرة الاخرى وهنا بدأ لون جديد من كفاح الشعب التونسي اذ شمل نضاله ضد الاستعمار ميدان التعليم والثقافة العامة ، . فلم يتراجع عن نهضته التي بدأها بل مضى يشق طريقه في سبيل تنميتها وازدهارها والمحافظة عليها . وقد استطاع ان يتغلب بنضاله على سياسة الاستعمار ضد ثقافته وكيانه الفكري ، فاكثر النوادي والجمعيات المختلفة ، وأسس المعاهد العلمية والمدارس الوطنية الحرة ، وانشأ المكتبات الشعبية العامة ، وبذلك لم تتوقف نهضته عن النمو والازدهار . وصحيح ان هذا الكفاح كان بطيء السير في ذاته ، وكان الاستعمار يقف في وجه هذا السير البطيء كالمارد الجبار ، لا يسمح بشيء ، ولا يتيح لاحد فرص العمل والنماء لخير الشعب وتقدمه ، ولكن الشعب التونسي كان لا يعرف الرجوع الى الوراء فلم يستسلم لكل ما وضعه الاستعمار في طريقه من عقبات وسدود . وهذا ما أتاح لتونس في نهاية الربع الاول من القرن الحالي ان تنشق فيها حركات قوية كاسحة ، تهدف في شتى ميادينها الى تحقيق نهضة حضارة واعية . تقوم على اسس راسخة من العلم والتنظيم والتضحية والفداء وقد حمل لواء هذه النهضة ، وتقلد اعباءها عن جدارة وايمان ، نفر قليل من الشباب المثقف الواعي ، الذي ادرك

بمرارة مدى الهوة السحيقه التي تردى فيها شعبه ، فاحسد على عاتقه انقاد هذا الشعب من كل محه وجميع اوصابه .

وتقدمت هذه الطليعة الواعية من الشباب المخلص المستنير ، الى ميادين الكفاح، واحذت تعلن عن آرائها الحديدة في جرأة نادرة وحماس شديـد ، مستشرة بان ذلك منها مقدمة لكفاح شاق عنيف وسرعان ما التفت حولها جماعة قليلة احرى من الشباب المتحمز الطموح . وسرعان ما اصطدمت هذه الطلائع المتوثبة بقوتين حطيرتين هما : الاستعمار الفرنسي الغاشم والحركات الرجعية الخادرة ، التي كانت سادرة في احلامها ومتعها الرخيصة على حساب الشعب الجاهل المنكود

ولم يكن من اليسير الهين التغلب على واحدة منهما ، فكيف بهما متكاتفتين متحفزتين للقضاء على كل من يفتح شفتيه بغير التسبيح والتمجيد ، أو يفتح عينيه لرؤية النور ومشاهده الحق في جلاله و بهائه .

ولكن الذي يستحق باعجاب واكبار ، هو ان هذه الطلائع قد صمدت صمود الحبال وكافحت كفاح الابطال ، واستطاعت حلال الربع الثاني من هذا القرن ان تكتسح امامها كلتا القوتين الغاشمتين ـ الرجعية والاستعمار ـ وهي اليوم تتحفز للاحهاز على ما تبقى لها من فلول مبعثرة وانفاس تتنفص انتفاضة الموت الاخيرة .

و بديهي ان هذا الكفاح الشاق العنيف لم يكن ليحالفه النصر ويلازمه النجاح دونما صحايا غالية وحسائر فاهضة في عدده وعتاده ، وفي قادتـه

وانصاره .

وها نحن نرى الحياة اليوم تتدفق ينابيعها الفوارة ، زاخرة كالدماء الملتهبة في اعصاب الشعب العربي بتونس ، وذلك بفضل تلك التضحيات الجسيمة والكفاح الشاق اللذين تكبدهما جند الطليعة ـ وحدهم ـ خلال ربع قرن من الزمن

وهذا ابو القاسم الشابي احد هؤلاء المكافحين الابطال ، بل نموذج رفيع منهم ، نقدمه اليوم للقراء في الشرق العربي ، كأسمى ما وصلت اليه حركة الانبعاث الفكري ، والتجديد الادبي في تونس . وكاروع شاعر ناوأته البيئة ، وصادمه المجتمع ، وناهضته العقول المحنطة والافهام المتحجرة فكان نصره عليها باهراً وتباته امامها قوياً ، رغم كثرة عديدها وقوة باطلها

والشابي بعد ذلك كله ، صورة حية شاملة لحياة الشعب التونسي في هذه المرحلة القلقة التي بهرته فيها اضواء الحياة الجديدة ، فملأت قلبه بالاشواق والرغبات ، وايقظت في نفسه عوامل الطموح الوثاب ، والكفاح العنيف فكانت نفس الشابي خير معبر عن آلامه وآماله ، واصدق رجاع لثورتها وانتفاضه ، في ادبها القوي الرفيع ، وتصويرها الصادق الامين

والحديث عن ذلك الأدب وهذه النفس ، حديث عن تلك البيئة الراكدة وذلك المجتمع العتيد ، وعن هذه الثورة الخارقة والانتفاض العارم العتي . بما في الجميع من قلق وحيرة او خوف وجمود ، ومن تبرم وسخط

او طموح واندفاع ، صوب حياة حرة سعيدة ، وادب خالد فني .

وهذا ما نحاول عرضه وتحليله في الفصول القادمة ، لنتبين منه كافة العوامل التي ابدعت شاعرية الشابي وصهرت نبوغه ، وارتفعت به الى اعلى مراتب الخلود .

# حياة الشاعر

ان حياة الشابي حياة مليئة بالشقاء والالم ، عامرة بالاحزان والاتراح ، طافحة بالحرمان والتعاسة مغمورة بالكآبة والاسى . ولسنا نعرف شاعراً في مثل بيئة الشابي واحوائسه تجمعت عليه مثل هذه من صروب العذاب وألوان الشقاء ، ففجرت فؤاده بالاغاني ، وألهبت قلبه بالحب ، وقاده الى حياة صوفية سامية ، ثمرت بتبرمه العنيف ، وثورته الجارفة . وليس من شك في ان للبيئة أثراً كبيراً واضحاً في حياة الشعراء وآثارهم ، وان للمحن والاحداث التي تعمر حياتهم وتحيط بهم ، عملاً هائلاً شديداً في طبعهم بطابع خاص وانا حين نعرض لحياة الشابي ، وحياة الشعب التونسي في الفترة التي قضاها الشاعر على مسرح الوجود ، ندرك مصادر الشقاء في نفسه ، ومنابع الألم والجراح من فؤاده ، ومبعث الكآبة والحزن من قلبه ، وأفق الظلام والتشاؤم في وجدانه

مولده

في شهر آذار ( مارس ) من سنة ١٩٠٩ ولد المرحوم ابو القاسم الشابي ببلدة « الشابية » احدى ضواحي مدينة « توزر » كبرى بلاد « الجريد »

بالجنوب التونسي . وهي بلاد جميلة فاتنة ، لما حوته من مناظر طبيعية رائعة . فهي واقعة بين بساتين البرتقال ، ووسط غابات شاسعة من شجر النخيل ، ومن حواليها عيون ذات ماء زاخر عذب والى الجنوب الغربي من ذلك تمتد الصحراء ذات الرمال الذهبية الحمراء . ومن الجنوب الشرقي فالغربي يبدو شط الجريد بمائه الهادىء العميق ، فيتراءى للناظر كبحيرة حالمة بآمال الاجيال واحداث السنين في هذه المنطقة من الارض التونسية الساحرة ، والتي كان لها « بجمالها وفتنتها » اثر بعيد المدى في شاعرية ابي القاسم ، والتي حدثنا عنها الشاعر شوقي بالعم وحسين فياض في قصيدته « الجنة الضائعة » ، في هاته المنطقة نشأ الشابي وترعرع . ولئن انتقل مع والده بعد ذلك ، الى مدينتي « قفصة » و« زغوان »، كان ابوه فيهما رئيساً لمحكمتيهما الشرعيتين ، فان آثارها بقيت حية في نفسه ، يتغنى بها في اشعاره وقصائده

دراسته

بدأ ابوه في تعليمه بادخاله احدى المدارس التقليدية « الكتاتيب » وهو في الخامسة من عمره وكان ابوه يحرص بشدة على تحفيظه القرآن ومن يدري ، فلعله كان يأمل ان يصبح ابنه من رجال الدين . ولقد حقق الشابي حرص والده ، فما ان بلغ التاسعة من عمره حتى كان قد أتم حفظ القرآن بكامله حفظاً تاماً فدل هذا عن نبوغ كامن وعبقرية توشك ان تبهر الورى باضوائها ثم اخذ والده يعلمه بنفسه اصول العربية ومبادىء العلوم

الاخرى، حتى بلغ الحادية عشر. وفي خلال هاتين السنتين، طالع شاعرنا شيئاً ليس باليسير من الكتب الدينية والصوفية والعلمية القديمة المملوءة بها مكتبة والده، وهي اهم ما تحتويه مكتبة رجل متدين صوفي.

وفي سنة ١٩٢١،وهو بعد في بداية الثانية عشرة من عمره، ارسله والده الى العاصمة التونسية، حيث تم التحاقه بالكلية الزيتونية. واستمر يدرس بها العلوم الدينية واللغوية حتى تخرج فيها سنة ١٩٢٧. نائلاً شهادة « التطويع»، وهي ارفع شهاداتها الممنوحة في ذلك الحين

والتحاق الشابي بالزيتونة وفي العاصمة، كانت نقطة تحول هامة في حياته. وليس ذلك لأن تعليم الزيتونة يومئذ، كان تعليماً عصرياً بأتم معنى الكلمة، وانما لهذا الجو الجديد من الحياة الذي انتقل اليه الشابي، فوجد فيه كثيراً من الحرية، وكثيراً من الانطلاق، وكثيراً من النشاط الادبي، ما كان قبل متمتعاً بشيء منها. وبذلك تحرر من كل قيد كان يرزح به، وكل رقابة كانت تسيطر عليه فمضى يستغل ذلك الى ابعد حدوده الممكنة. فانهال اول الامر على كتب المهجريين (كجبران، ونعيمه، وابي ماضي) يطالعها بشوق بالغ وادمان شديد. وقد ميزته هذه الفترة بطابع « المدرسة المهجرية » التي تمتاز بصوفيتها الشعرية، ونقدها اللاذع، وحدبها على الانسانية المعذبة، وسخريتها المرة بالحياة الراكدة والبشرية المتحجرة. وكل هذا نلمسه واضحاً في آثاره الاولى من شعر ونثر. ثم اخذ بعد ذلك يطالع كل ما وسعه الوقت لمطالعته، او وقعت عليه عيناه، من كتب قديمة هامة او حديثة

شيقة . فمن القديمة طالع عدداً هائلاً من الكتب المسماة بامهات الادب ، كالأغاني ، وصبح الاعشى ، ونفح الطيب ، والكامل ، والأمالي ، والعمدة ، والمثل السائر ، وكتاب الصناعتين وغيرها . ومن المعاجم امهاتها ، كلسان العرب والقاموس ... اما الدواوين فقد طالع جميع ما طبع من قديمها وحديثها . ولجهل الشابي باللغات الاجنبية ، فقد قرأ اهم ما ترجم من كتب الآداب العربية ، حتى استوعب تاريخها وفنونها وجميع اطوارها . وكان يعيد باستمرار قراءة كتب « لامارتين » و « جوته » ، ويعجب بهما اعجابه بالمعري وابن الفارض . والى جانب ذلك كله كان يتابع قراءة جميع المجلات العربية الصادرة في ذلك الحين ، كالهلال والمقتطف والسياسة الاسبوعية والبلاغ وغيرها .

وعلى أثر تخرجه من الزيتونة التحق بكلية الحقوق التونسية ، فتخرج منها سنة ١٩٣٠ . وخلال السنوات الثلاث الاخيرة من دراسته ، بذل الشابي نشاطاً ادبياً واجتماعياً كبيراً وقاد حركة طلاب الزيتونة التي كانت تهدف الى اصلاح مناهج التعليم والادارة في الكلية وتزعم اضرابهم عن الدروس وترأس لجنتهم وسير اعمالها بوطنية اعجب بها الجميع ويعود له فضل كبير في تأسيس جمعية « الشبان المسلمين » التي هي اليوم من الجمعيات التونسية الكبيرة ذات المشاريع الثقافية والاجتماعية النافعة . كما ساهم في تأسيس « النادي الادبي » بتونس ـ العاصمة ـ و « نادي الطلاب » بـ « توزر » وكان من ابرز اعضائهما حيوية ونشاطاً

## موت والده

ولكن هذا النشاط ـ ويا للاسف ـ لم يدم طويلاً . فقد عكرت صفو حياته الاحداث والنكبات . وكان في طليعتها موت والده في الثامن من شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٩ . وبموت والده تغيرت حياته تغيراً تاماً ، وأحدث ذلك في نفسه صدمة عنيفة هائلة ، طفحت بها قصائده في ألم حاد ويأس مر ولم لا يكون ذلك ، وقد كان لا يعرف من شواغل الحياة ومتاعب العيش شيئاً يستحق الذكر؟! فقد كان ابوه يقوم نحوه بكل حاجاته ، ويوفر عليه راحته ورفاهيته وهناءه . واذا بذلك كله ينهار مرة واحدة ، واذا هو مسؤول عن كل ما خلفه والده في الحياة ، من أم ثكلى ، وأبناء صغار الى املاك مبعثرة هنا وهناك ، وفوق ذلك تبعات لا تحد امام ضميره وامام القانون

## مرضه

هذه المتاعب الجمة والمسؤوليات العريضة التي نزلت عليه في غير حينها لم يكن ليتصورها من قبل ولعله كان يحسب ان حياته الشعرية المثالية سوف تستمر معه طويلاً ، فاذا بها تتحول فجأة الى ألم جارف ويأس عميق وشقاء لا يطاق واذا بنا نرى بعد ذلك بقليل ، ان هـذا الألم الجارف ، واليأس العميق ، وتلك الاتعاب والمسؤوليات ، ما لبثت ان فعلت في جسمه النحيف فعلها الخبيث ، فأصيب بداء تضخم القلب الذي عانى منه أشد انواع المرارة وأقسى ضروب العذاب وعرض نفسه على كل طبيب اخصائي

تونس فكانوا جميعاً متفقين على امرين اثنين مع علاج بالادوية مستديم اولهما: ان يكف عن ارهاق نفسه بالكتابة والقراءة.

وثانيهما. ان يعيش في المناطق الجبلية والطبيعية حيث الغابات والبساتين والوديان والانهار.

فمضى الشاعر يجوب صيفاً وشتاء مناطق تونس الطبيعية الجميلة ذات المصائف الفاتنة والمشاتي الرائعة فمن بلاد « الجريد » الى « زغوان » ومن « عين دراهم » الى « المتروحة ». وقد عاش شاعرنا ثلاث سنوات وحيداً بين اشجارها وانهارها. يتغنى مع الاطيار بحبه ويناجي النجوم بآماله، ويحنو على الورود والازهار، ويطرب لخرير المياه، وحفيف الاغصان. وفي هذه الفترة اخرج الشابي اجمل قصائده الخالدة في وصف الطبيعة والجمال، وسحر الوجود وحب الحياة

## وفاته

ثم استمر يرهق نفسه بما نهاه الاطباء عنه، فاشتد به الداء وآلمه كثيراً، ونال منه العذاب والشقاء اكثر من اي وقت مضى. فثار على الحياة ومل وجوده فيها، وامطر البشرية بسيل جارف من تبرمه وسخطه واخذ ينشد الموت ان يريحه من حياة ملؤها الشقاء والعذاب والأسى والألم فطلع علينا بقصائده « في ظل وادي الموت » و « روعة في الظلام » و « الجنة الضائعة » و « قال قلبي للاله » و « انا ابيك » و « الاشواق التائهة » و « السعادة » و « اغاني التائه » و « ابناء الشيطان » وكان من

قبلُ عا كماً يتلو ا! « صلوت في هيكل الحب » . ويعزف : « اغـاني الرعاة » ، و « ارادة الحياة » و « تحت الغصون » ، و « الايمان بالحياة » ، و « قلب الأم » و « الساحرة » و « اراكِ » و « فكرة الفنان »

تلك القصائد جميعاً وبكثير غيرها تغنى الشابي ، وفيها سكب عصارة روحه ومعين حياتـه . وعلى اوتار قلبـه المكلوم عزف للانسانية اعذب الألحان وامرهـا .

والآن ! ها هي جميعاً لا تجديه شيئاً ولا ترد عنـه حكم القضاء النافذ ولا يد القدر العاتي . لقد اشتد معه الداء وقوي المرض ، فاستفحلت العلة واضطر لملازمة الفراش ، ثم نقل الى المستشفى الايطالي بالعاصمة، حيث سكب الحانه الاخيرة قبل ان يستريح من « عالم الآثام والعصـاء » و « يذوب في فجر الجمال السرمدي » فقرأنا . « نشيد الجبار » و « الحاني السكري » و « الصباح الجديد » و « النبي المجهول » .. وهنالك قصائـد غير هذه لم تنشر ولم تعرف بعد . ثم وجم الناي وغام الفضاء ، وذابت انفاس الشاعر الأخيرة آهات في ارجـاء الكون فقيل تحطمت قيثـارة الانسانية ، وتلاشت انغام الحب والجمال ، والحان السحر والخيال . وصعدت روح الشاعر الى عالم الجمال المطلق ودنيا البقاء والخلود .

كان ذلك القول في فجر يوم الثـلاثاء التاسع من تشرين الاول ( اكتوبر ) سنة ١٩٣٤ ثم نقل جثمانه الى مسقط رأسه بلدة « الشابية » مشيعاً بالزفرات والدموع ولم يكن عند موته قد بلغ السادسة والعشرين عاماً.

وبموته خسرت الآداب العربية المعاصرة ، اعظم خسارة اصيبت بها في تاريخها الحديث ، ونهضتها الماثلة .

## ضريحه

وقد نقل جثمان الشابي الى مسقط رأسه ، بعد موته بيوم واحد، ودفن ببلدة « الشابية » في مقبرة اسلافه . ونظراً لقرب الصحراء من بلاد الجريد فقد كادت الرمال الزاحفة ان تمحو قبره وان تجعله اثراً بعد عين . ولقد زاره كثير من الأدباء ، فهالهم ان يندثر قبر الشابي وان يضيع بين القبور ولما تمض على وفاته عشر سنوات فكتب بعضهم في الصحف والمجلات مستثيراً همم الشعراء والأدباء من زملاء الفقيد واصدقائه ، ولكن دون جدوى.

واخيراً تحركت هممهم بفضل المساعي الطيبة التي بذلها الأديب الاستاذ محمد بن محمود . فجمع الأدباء التونسيون امرهم وألفوا لجنة اقامت على قبر الشابي بناءً فخماً لائقاً . وقد شمل البناء وضع صندوق من المرمر على قبر الشاعر ، ارتفع به القبر عن سطح الارض مسافة ذراع ونصف كما اقيمت حول القبر روضة صغيرة فيحاء ، يحيط بها سياج من حديد وبذلك اصبح منظر القبر ومظهره رائعاً أخاذاً ، يثير المشاعر ، ويغرق الزائرين في لجج من الذكريات والرحمات

وقد احتفل الأدباء والشعراء حول ضريح الشابي بهذه المناسبة في يوم الجمعة ١٧ / ٥ /١٩٤٦ وتسابقوا الى تمجيد مآثره ومزاياه ، والى تقدير شاعريته ونبوغه . فكان اجتماعهم حول قبره ، والتفافهم داخل روضته ،

واحلالهم لأدبه وعقريته ، بمثابة احيائهم لذكراه التي لن تموت ، واعلانهم عن شعورهم نحوه وعرفانهم له بما اسداه - على قصر حياتـه - للأدب العربي الحديث ولشعبه البائس المنكوب ، من خـدمات وجهود ، سوف تعرف قيمها الرفيعة العالية يوم يكشف عنها الغطـاء وتنشر على الناس . فيعلم حينئذ ان الشابي كان لحناً فريداً لم يتم ، ومنحة من السماء لابنـاء الارض ، واغنية عاصفة تـائرة ، ستظـل الحياة ترددهـا على مسامـع البشرية جيلاً بعـد جيـل

# البيئة الاجتماعية

نشأ الشابي وشب في بيئة تحيط بها سجوف الغباوة والضلال من كل جانب، وتسيطر على حياتها ومقدراتها، عناصر بغيضة الى كل نفس، كريهة لدى كل انسان يشعر بحقيقة نفسه، وبحقيقة الحياة الطيبة السعيدة.

والمجتمع التونسي في الفترة القصيرة التي قضاها شاعرنا في محيطه، كان مجتمعاً مريضاً في جسده وروحه، نائياً في تفكيره، وآرائه، مستسلماً لأوضاعه الفاسدة (استسلام العاجز غير العاقلة الى مشيئة الايام والليالي ) . كما يقول جبران .

وليس من اليسير على شاعر كالشابي، وقاد الفكر، مشبوب الخيال، دقيق الحس والشعور، ان يرضى عن هذا المجتمع، وان يطمئن لنوع الحياة التي يعيشها، او لاصناف الظلم التي يعانيها والآلام التي يكابدها .

وما من أحد وعى بذهنه شيئاً من مفاهيم الكرامة البشرية، والعدل الانساني، يستطيع ان يخلد الى الاطمئنان والراحة، في مجتمع تصورت عليه قوى الشر وتجمعت حوله كل عوامل الابادة والافناء، فالاستعمار الفرنسي البغيض، يمتص رحيق الحياة من كيانه العام، ويستغل امكانياته في شتى

الميادين ، ويستأثر دونه بكل ثرواته وجهوده ، ويسلبه خيرات البلاد وثمارها ، ويحول بينه و بين العمل على الاخذ باسباب الحياة الصاعدة ، ويعوقه في عناد وعنف عن كل نهوض يهم به ، وكل حركة يهدف منها الى الانطلاق من اغلاله والأغلال من اسره . وليس ذلك فحسب ، بل عمل الاستعمار ـ ولا يزال يعمل ـ جاهداً على تنمية جراثيم الفقر والمرض والجهل ، بما يفرضه من ارهاق ، ويسمه من شرائع ظالمة عاتية ، وما يقيمه من عراقيل في سبيل العاملين المخلصين ، من ابناء الوطن

وليس الاستعمار وحده العامل على محاربة الجهود المخلصة النزيهة، الرامية الى تحرير الشعب التونسي من عبوديته وفقره ، ومن مرضه وجهله ، بل كانت تساعده وتأتمر بأمره ، عناصر رجعية جائرة ، تثير في الشعب روح العصبية الدينية المزيفة ، حين لا تجد سلاحاً للمقاتلة إلا هذا السلاح ، وتنعدم أمامها الوسائل الا هذه الوسيلة . وهي تعمل جاهدة لتبقى على مكانتها وحظوتها لدى الشعب ، عن طريق الاحتفاظ بواقعه الفاسد المرير ، بما فيه من ضلال وجهل ، وبما يرزح تحته من اعباء الماضي السيئة ، وبما يعانيه من عدوان الاستعمار وظلمه

وكذلك كان الشعب نائماً في شقائه ، مستسلماً للتعاسة والبؤس ، مؤمناً بصدق هؤلاء الموتى من الاحياء ، والاحياء من الموتى !!

فكان يسيراً على هاته الفئة المتحكمة ـ وحالة الشعب كما لاحظنا ـ ان ترسل صيحتها في الشعب ، بان تقاليده مسحت ، وقدسياته امتهنت ،

وهائسه المحنطة سحقت ، واصنامه المعبودة حطمت . كان يسيراً عليهما ان ترسل صيحة كهذه لتدفع بجموع الشعب الجاهل الضليل ، الى محاربة القوى الجديدة الواعية ، المنبعثة من اعماق الشباب الثائر العنيد .

فتخيب المساعي وتضيع الجهود ، وتتلاشى هاتيك القوى الفتية الناهضة ظلماً وجهلا وضلالة وجحوداً .

وإذ كانت هذه هي البيئة ، وهذا هو المجتمع الذي عايشه الشابي ، فأي شيء يمكن ان تفيض به نفس هذا الفتى الثائر الطموح ؟

وأي شيء يستطيع ان يقدمه لشعبه ليتحرر من عبوديته وينطلق من أغـلاله ؟ .

« لم يكن الشابي من رجال السياسة او الادارة فيسعى لقلب النظام ، او قائداً عسكرياً فيشنها ثورة دامية ، يزحزح بها تلك الهياكل المتحجرة عن عروشها ، ليفسح للشعب طريق التحرر والحياة . حياة انسانية كاملة . وانما كان شاعراً والشاعر لا يملك سوى قلبه » (١) ووجدانه وعواطفه.

فدوّى قلبه بالنشيد ، وحرق وجدانه بخوراً في معبد الحياة ، وجنّد عواطفه لمحاربة الظلم والخنوع . فثـار على كل وثن من اوثان الأدب ، وكل رأي سقيم لا ينفع ، او قديم لا يفيد . وبدأ ثورته بفك قيود الأدب واغلاله ، وخلص نفسه من طرائقه القديمة المقفوته ، واساليبه الرثة الميتة . فخط طرائق فنية رائعة ، واساليب حية ممتعة . قوية في روحها وموضوعها،

(١) ذكرى الشابي للاستاذ الهادي العبيدي . ( عن مجلة الاسبوع التونسية ) .

حلاية في فنها وجمالها ، ساحرة في تعابيرها وصورها .

وقد اوضح الشابي افكاره وآراءه بجرأة نادرة وحماس شديد، في كتابه الخالد : « الخيال الشعري عند العرب » وان اول دعوة صريحة ثائرة، نقرأوها في هذا الكتاب هي قوله :

(. . لقد اصبحنا نتطلب حياة قوية مشرقة ، ملؤها العزم والشباب ومن يتطلب الحياة فليعبد غده الذي في قلب الحياة . اما من يعبد امسه وينسى غده فهو من ابناء الموت وأنضاء القبور الساحرة . . ) فهذه الصراحة المنبعثة من اعماق نفسه بكل حرارة وصدق ، وهذا الحماس اللاهب والاخلاص القوي، المتدفقان من كل سطر من سطور الكتاب وكل كلمة فيه ، لم تكن ـ مجتمعة او منفردة ـ لترضي اولئك الخادرين والسادرين ، الذين الفوا السكون واستسلموا لنوم الابدي ، وارتاحت قلوبهم الى ضروب من الجمود والعبودية ، وهضمت معدهم طعام الذل الموروث ، ورضيت نفوسهم بارتداء ملابس فصلت لغيرها ، وبالحرى بليت لكثرة ما تداولتها الاجيال تلك الأجيال التي عاشت كما يعيشون ، عالة على غيرها ، لا تشعر بوجودها الا في احضان الماضي ، ولا تستمد غذاءها إلا من نبش القبور وجثث الموتى فهي لا تشعر بانها كائن حي، ولا تحس تيارات الحياة ، ولا تتصل بهذا العالم إلا كما تتصل به الاحجار او الرمال ، بل لعل هاتين اكثر اتصالا وانفع منها للحياة . ولقد رُمي الشابي من اجل ذلك ، بكران الماضي ومحاربة امجاده ، وبالعقوق لآبائه واجداده ،

وبالثورة على المقاييس الشائعة ، والطرائق الدائمة ، وبالسخرية من التراث (المقدس) الجليل ، وتشويه محاسنه ومسخ جماله ! ! . .

وصحيح ان الشابي كان ثائراً على السخافة المستحكمة والعقول المحنطة ، والتقاليد الجامدة ، والمقاييس المتحجرة .

وصحيح انه كان مجدداً جريئاً وبنّاءً قديراً ، يملك سلاح التجديد ، ويبني لنفسه ولامته حياة جديدة ومجداً طريفاً . ويعيش في حاضره ولغده ، لا في ماضيه ولأمسه . ولكن ليس بصحيح ان الشابي كان – في لحظة من حياته – ساخراً من اجداده او من تراث هؤلاء الاجداد .

وها هو يفصح عن نفسه ويوضح حقيقة آرائه في رد من ردوده على احد ناقديه فيقول :

( .. وبعد فانا احب ان يعلم الأديب الفاضل(١) اني اذا كنت ادعو الى التجديد الأدبي واعمل له ، فان ذلك لا يدفعني الى الهزء والسخرية بآداب الاجداد – كما قد حسب – بل اني لأومن كل الايمان بما فيها من جمال فني وسحر قوي ، واعتقد انها قد آتت في عصورها ألجيـة لاجدادنا كل ما طمحت اليه اشواقهم من غذاء معنوي دسم ، ولكني أومن الى جانب ذلك ان في الحياة آفاقاً مجهولة ساحرة ، غير ما في الأدب العربي من آفاق ، وان هذا الادب اذا كان قد سد حاجة آبائنا الروحية ، فانه لعاجز

(١) هو الاستاذ مختار الوكيل الشاعر المصري المعروف وقد كتب عدداً من الكتب في الجمال الشعري عند العرب ، ونشره بمجلة ابولو ص ٨٣٣ س ١٩٣٣ .

كل العجز عن ان يشبع ما في ارواحنا من جوع وعطش وطموح . وانه اذا كان لزاماً علينا ان نعجب بهـذا الادب ونفخر به ، كحلقة من سلسلة ذاتيتنا العربية ، وكمنجم ذهـبي نرجع اليـه كلما أردنا ان نصوغ لأفكارنا حليها الساحر الجميل ، فان ذلك الاعجاب لا ينبغي ان ينقلب في نفوسنا الى تقديس فعبادة فجمود فاطباق لأبصارنا عن كل ما في السماء من اشعة ونجوم .

هذا رأيي ، وهذا بعض ما دعوت اليه في كتاب « الخيال الشعري عند العرب » وما احسب في مثل هـذا شيئاً من الغلو او الاغراق ، او تنقص ادب الاجداد او الزراية عليه .

فان كان ناقدي المفضال يأبى بعد هذا الا اعتباري « متطرفاً » غالياً ، ومتنقصاً لأدب الاجداد ، فليفعل واجري على الله)(١).

لست اشك لحظة في انه ما من احد قرأ هذه الكلمات العذبة ، التي تنطوي في ايجاز بالغ وروعة محببة ، على آراء جريئة صريحة وافكار نبيلة قيمة ، ما من احد قرأ هذه الكلمات أو استمع اليها ، الا تملكه الاجلال والاكبار لهاته النفس المؤمنة بحقها في الحياة ، البارة بحق آبائها واجدادها ، المخلصة لتراثهم وامجادهم، العاملة على بناء مجد فني وأدب خالد

ولكن ، أنى لاولئك الخاثرين ان يفهموا شيئاً من ضياء العزم ونور الايمان وجلال الحق وناموس الحياة

(١) من رد الشابي على ناقده المنشور في المجلة السابقة ص ١١٧٢ سنة ١٩٣٣

أبى لهم ان يستسيغوا تلك الانغام السماوية الساحرة، المنبعثة عن كل بيت من شعره، وكل سطر من نثره.

أبى لهم ان يدركوا ذلك الجمال السرمدي، وتلك الاجواء المستنيرة، في عالم الخيال الرائع، ورحاب الابداع الزاخر.

أبى للقلوب المريضة والنفوس المنهوكة الساذجة، ان تدرك طهارة الملاك، وجمال الذات المطلقة، وصفاء الفن وقداسته.

ومتى كانت الاشواك والديدان تستطيب عطر الورود ورقة النسيم، وتستشف جمال الازهار، وزرقة السماء؟!!

انت كالزهرة الجميلة في الغاب ولكن ما بين شوك ودود
فاهجري الناس، انما الناس خلق مفسد في الوجود غير رشيد
ودعيهم يحيون في ظلمة الاثم وعيشي في طهرك المحمود
أنت تحت السماء روح جميل صاغه الله من عبير الورود
وبنو الارض كالقرود، وما أضيع عطر الورود بين القرود
انتِ من ريشة الاله فلا تلقي بفن السما لجهل العبيد
أنت لم تخلقي ليقربك الناس ولكن لتعبدي من بعيد!!

أي نعم يا أبا القاسم! فان نفسك الكبيرة تلك، بروحها الطاهرة وقلبها الحساس، لم تخلق ليقربها الناس وتحيا بين العبيد، وانما لتعبد من بعيد، ومن بعيد بعيد! ..

وهكذا كان الشابي كشمعة تحترق لتضيء الى السائرين في شعاب

الارض ومسالك الحياة، طريق المجد وسبيل النور، فأذاب روحه اناشيد، وألهب قلبه أغانياً وأهازيج ليقود قومه في موكب حافل بالانغام والالحان مكلل بالازهار والرياحين.

كان ذلك يوم أجال الشاعر بصره في ارجاء الكون، ومحاسن الوجود، فلم يجد سوى طيور طراب تتنقل بين الاشجار والربى، وفي الاجواء والبطاح. وشمس تتهادى في الصباح، بعد فجر حالم منير، فتعيد الى الدنيا حياتها الصاخبة، وتبعث في الخلائق القوة والنشاط وزهور عابقة في الحقول والاحراج، وورود ناعسة في الرياض والمروج، ونجوم تتراقص في الليل البهيج، على صفحات الماء العذب النمير، او البحر المائج الفسيح. وبدر يرسل اشعته الفاتنة على الارجاء، فيحيل ظلام الليل الداجي الى دنيا من السحر والجمال، فيبدو الوجود كأحلام تراقصت نشوى في خيال شاعر ساحر المشاعر، فياض الاحاسيس

أجال بصره في ذلك كله، واكثر منه، فأيقن ان للحياة فتنة لا تدركها الابصار، وان للعالم جمالا حقيقاً بالعبادة، حرياً بالاجلال والتقديس ثم عاد الى قومه فحدثهم عن جمال الحياة وسحر الوجود، وفتنة الكون الكبير: فما استمع احد منهم اليه. ولا حفل بحديثه انسان. فتألم وتأوه، ثم طوى آلمه، وأسكت آهاته، وعاد اليهم في الصباح ـ صباح الحياة ـ وقد ضمخ اكوابه بعطر الورود، وعبير الازهار، وأترعها بخمرة نفسه وعصارة قلبه، ثم قدمهم صبوحاً للشاربين من ابناء شعبه، ولكنهم ما ألفوا بعد خمرة الفؤوس المصهر،

ولا ذاقوا رحيق القلوب المتفجرة في صباح الحياة. فأهرقوا خمرته وحطموا كأسه ـ كأسه الغريبة عليهم ـ فتألم الشاعر من اعماق قلبه الجريح، وتوجع بكل حاسة مشبوبة فيه. ثم كفكف آلامه ودموعه وجمع احاسيسه وقواه، ونضد باقة من أزاهير الحياة واوراد الوجود وقدمها اليهم، علّ شذاها يفتح حواسهم المغلقة، وألوانها تستهوي ابصارهم الكليلة. ولكنهم ـ ويا للعار ـ كانوا اشد شراً منهم في المرة الاولى، فأدرك انه مجهول في قومه غريب بينهم:

يا صميم الحياة، كم أنا في الدنيا غريب، أشقى بغربة نفسي
بين قوم، لايفهمون اناشيد فؤادي. ولا معاني بؤسي
في وجودٍ مكبّل بقيود تائه في ظلام شك ونحس
فاحتضني، وضمني لك بالماضي فهذا الوجود علة يأسي

ثم عصف وثار، فدمدم عليهم برعده واعصاره، فكاد يعصف بهم في قصيدته «النبي المجهول»:

أيها الشعب ليتني كنت حطاباً فأهوي على الجذوع بفأسي!
ليتني كنت كالسيول اذا سالت، تهد القبور رمساً برمس!
ليتني كنت كالرياح فأطوي كل ما يخنق الزهور بنحسي!
ليت لي قوة العواصف يا شعبي فألقي اليك ثورة نفسي!
ليت لي قوة الاعاصير لكن انت حي يقضي الحياة برمس!
انت روح غبية تكره النور، وتقضي الدهور في ليل ملس!

انت لا تدرك الحقائق ان طافت حواليك دون مس وحس !

في صباح الحياة ضمخت اكوابي وأترعتها بخمرة نفسي
ثم قدمتها اليك ، فأهرقت رحيقي ودست ياشعب كأسي!
فتألمتُ ثم اسكتُّ آلامي وكفكفت من شعوري وحسي
ثم نضدت من أزاهير قلبي باقة لم يمسها أي انس
ثم قدمتها اليك فمزقت ورودي ودستها اي دوس!
ثم ألبستني من الحزن ثوباً وبشوك الصخور توجت رأسي!

ولكن هذه العاصفة الهوجاء ، هدأت في نفس الشاعر ، وثاب بعدها الى شيء من الرضى والاطمئنان ، والى نوع جديد من الحياة ، اعتزم ان يأخذ ايامه الباقية عليه ، فاختار ان يحيا بعيداً عن قومه ، بعيداً عن بلاده :

ليت لي ان اعيش في هذه الدنيا بعيداً بوحدتي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال والغابات بين الصنوبر المياد
ليس لي من شواغل العيش ما يصرف نفسي عن استماع فؤادي
عيشة للجمال ، والفن ابغيها بعيداً عن امتي وبلادي
لا اعني نفسي باحزان شعبي فهو يحيا في طلمة الآباد
حسب نفسي من الأسى ما لديها من طريف مستحدث وتلاد

ولقد مضى شاعرنا الى الغابات فعلاً ، فقضى بقية عمره فيها ، وعاش بين اشجار زيتونها ونخيلها وسروها وصفصافها ، كما يشاء وكما يحب الفنان ان يعيش

وفي الغابات المحسة الى نفسه وبين سفوح جبالهـا المكللة بالصنوبر والصخور وتحت ظلال الأشجار الوارفة فيها ، طلع عليه صباحه الجديـد ، فاذا جراحه تسكت واشجانه تسكن ، وآلامه تنتهي ، واذا به ينطلق ليعانق صباحه الجديد « وليذوب في فجر الجمال السرمدي » ثم رأيناه يمشي الى الشاطيء ـ شاطيء الابدية ـ في سكون حالم وغفوة نشوى . حيث ركب هناك زورقه المسحور ، ونشر قلاعه البيضاء ، ورفع يده مودعاً ـ عالم الآثام والمعصاء ـ ثم انساب في خضم الأبدية العميق ، وكأنه حلم ليلة ساحرة ، أو رؤيا جمال عبقري

أسكتي يا جراحْ واسكني يا شجونْ !
مات عهد النواح وزمان الجنون !
وأطلّ الصباح من وراء القرون !

*
* *

من وراء الظلامْ وهدير المياهْ !
قد دعاني الصباح وربيع الحياه !
يا له من دعاء هز قلبي صداه !!
لم يعد لي بقاء فوق هذي البقاع !!
الوداع الوداع يا جبال الهموم !!
يا ضباب الأسى يا فجاج الجحيم !!
قد جرى زورقي في الخضم العظيم !!

ونشرت القلاع فالوداع الوداع !!!

والآن !.. وقد انتهت آلام الشابي ، وسكنت جراحه ، وسكنت شجونه أفما يحق لنا ان نسأل عن ذلك المنبع الفياض ، الذي تدفقت منه هذه الآلام وتلك الجراح وهاتيك الشجون ؟

لم تكن آلام الشابي وجراحه، الا آلام شعب كامل وجراح امة باسرها ، حملتها نفس شعرية واحدة ، وانطوى عليها قلبها الانساني الكبير ، ففاضت انغامها الساحرة من اوتار قلبه ، وتصاعدت آهاتها المرة من اعماق نفسه .

وليس من شيء يصهر النفوس ، ويطهر الارواح والقلوب ، كالألم الانساني العنيف ، حين ينبعث من اعماق الضمير وارجاء النفس ، بكل حرارة وعنف وبكل شوق وحنين .

والألم ينبوع العبقرية وفيض النبوغ وكل شاعر فاض صهره الألم ، وعذبته الاوجاع ونال منه الحرمان في اية ناحية من نواحي الحياة ، الا تفجر قلبه عن ابدع الصور واروع الالحان ، وعزف للانسانية اعذب الاغاني وأمرها

والألم وليد الاحساس القوي المرهف ، والشعور العميق باسرار الحيـاة ، وعيوب البيئة والمجتمع

والشاعر الفنان يخلق لنفسه « في احلامه وأمانيه » بيئة مثالية سامية ، ومثلاً عالية في الحياة ، وألواناً ساحرة من الاجواء والاضواء ، ولكنه سرعان ما تتحطم آماله وأمانيه ، وتنهار مثله واحلامه ، حين تصادمه حقائق البيئـة

المرة، ويعانده في عنف واقع يحيا عليه قومه، ويعيشون فيه عن رضى واطمئنان. ولكن اي واقع حزين هذا الذي يحيا عليه قومه؟

واي مجتمع مسكود، هذا الذي عاش شاعرنا بين اهله وبنيه؟. انه مجتمع حائر منهوك في جسده، عي تافه في روحه، حقير ساذج في مثله واحلامه، باهت في ألوانه، ممل في انغامه.

واي شعب تجمعت في حياته هذه الخطايا، الا كان شعباً غبياً جامداً، لا يفقه شيئاً من معاني الحياة واسرارها، وجمال الوجود وفتنته، وعفة الحب وطهره، ونبل الحق وجلاله. وشرف الكفاح وروعته، ومجد الشباب وثورته، وشوق الشاعر واحلامه

والشابي كان ذلك الشاعر، وشعبه كان هذا الشعب، في تلك الفترة القصيرة التي عاشها شاعرنا بين ابنائه

فكان للألم من ذلك كله نبع غزير في قلبه. وكانت لآلام شعبه وجراحه رجاعها القوية في نفسه، فانسابت من بين شفتيه صرخات توجع. وآهات انين وتدفقت من اوتار قلبه انغام قوة كاسحة. واحيانا ثورة مدمرة جارفة.

ولقد أحس الشابي بعذابه وجراحه منذ اللحظة الاولى التي رأى فيها الحياة على صورها الحقيقية، ومنذ اللحظة الاولى التي احس فيها بآلام شعبه وتعاسته، ومدى ما يرزح تحته هذا الشعب من اعباء الظلم وصنوف الطغيان. ومن سخوف الماضي وسيئاته فتأوه حينا وتألم، ثم جمع قواه. واندفع بايمان الشباب، وحيوية الفتوة. وعزيمة الجبابرة الى الصفوف الاولى

مناضلاً لخير بلاده وتقدمها ، ومكافحاً في سبيل تحريرها واستعادة مجدهـا واحلالها المحل الذي يجدر بها ان تناله بين أمم الارض وشعوبها . فخاطب شعبه بصنوف من القول لم تألفها اسماعه ، وعرض عليه اسلوباً في الحياة لم تتعوده طباعه واخلاقه ولا يتفق مع ركوده واستسلامه . فقوبلت اقواله وأساليبه بالسخرية والاعراض من قومه ، فزاد ذلك من آلامه وجراحـه واحترق في أتون من السخط والثورة على هـذا العماء المستحكم ، والجهـالة المتأصلة والجمود الأخرس فاستمع اليه مندداً بذلك كله .

أنت يا كاهن الظلام حياة تعبد الموت أنت روح شقي
كافر بالحياة والنور، لا يصغي الى الكون قلبـه الحجري
أنت دنيا يظلها افق الماضي وليـل الكآبة الأبـدي
والشقي الشقي في الارض شعب يومه ميت وماضيه حي!!

ويشاء القدر العنود أن يزيد آلام هذا القلب الانساني الكبير آلاماً جديدة كل يوم ، فوق ما يعانيه شعبه من آلام الاستعمار ، وآلام الركود والاستسلام . آلام ناء بها جسمه النحيل وقلبه المعذب المكلوم . وأي آلام اشد على مثل هذا القلب من فقد الاعزاء والاقربين ؟!!! كانت اولى هذه الآلام فقد شاعرنا لوالده ، اعز مخلوق عنده . ثم اصابته بـداء لا دواء له ، وبهذا تجمعت على هذا الانسان الوحيد ، والقلب الانساني الأليم صنوف من الألم ، وضروب من العذاب ، وسهام من كل صوب . وهنا تتجلى مظاهر العبقرية ، وقوة الايمان ، وبطولة النفس الانسانية الخالدة . فلم يحني

هامته للظلم ، ولم يجرفه تيار الركود ، ولم يستسلم حتى للقدر العاتي والقضاء المحتوم . فهذا الظلم ينازله قائلاً :

ألا ايها الظلم المصعّر خدّه .. رويدك ان الدهر يبني ويهدمُ !!
أغرك ان الشعب مغضٍ على قذىً لك الويل من يوم به الشر قشعمُ !!
ألا ان احلام البلاد دفينة تجمجم في اعماقها ما تجمجمُ
ولكن سيأتي بعد لأي نشورها وينبثق اليوم الذي يترنم
هو الحق يغفى ساكناً فاذا طغى باعماقه السخط العصوف يدمدم !
إذا صعق الجبار تحت قيوده سيعلم اوجاع الحياة ويفهم !!!

وهذه أمته ، يهيب بأبنائها ، ان انهضوا وسيروا في طريق الحياة ، فمن نام لم تنتظره الحياة .

خلقت طليقاً كطيف النسيم وحراً كنور الضحى في سماه
تغرد كالطير اين اندفعت وتشدو بما شاء وحي الاله
وتمرح بين ورود الصباح وتنعم بالنور انى تراه
وتمشي كما شئت بين المروج وتقطف ورد الربى في رباه
كذا صاغك الله يا ابن الوجود وألقتك في الكون هذي الحياه
فمالك ترضى بذل القيود وتحني لمن كبلوك الجباه ؟!
وتقنع بالعيش بين الكهوف فاين النشيد ؟ واين الأياه ؟!
أتخشى نشيد السماء الجميل ؟ أترهب نور السما في فضاه ؟!
الا انهض وسر في سبيل الحياة فمن نام لم تنتظره الحياه !!

ولا تحش مما وراء القلاع     فما ثم الا الضحى في صباه
الى النور فالنور عذب جميل     الى النور فالنور ظل الاله !!

وهذا القدر يصارعه في عنف واعتداد، وكأنه لا يقل عنه شيئاً في القوة والجبروت فأرهف السمع لهذه الانغام الصاخبة، والقذائف الشعرية الكاسحة، في قصيدته الخالدة «نشيد الجبار» او «هكذا غنى بروميثيوس»:

سأعيش رغم الداء والاعداء     كالنسر فوق القمة الشماء!
وأقول للقدر الذي لا ينثني     عن حرب آمالي بكل بلاء!
«لا يطفىء اللهب المؤجج في دمي     موج الاسى، وعواصف الارزاء!
فاهدم فؤادي ما استطعت فانه     سيكون مثل الصخرة الصماء!
لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا     وضراعة الاطفال والضعفاء!
ويعيش جباراً يحدق دائماً     بالفجر، بالفجر الجميل النائي
سأظل امشي رغم ذلك عازفاً     قيثارتي مترنماً بغنائي!
أمشي بروح حالم متوهج     في ظلمة الآلام والادواء!
النور في قلبي وبين جوانحي     فعلام اخشى السير في الظلماء؟!
اني انا الناي الذي لا تنتهي     انغامه ما دام في الاحياء!
وانا الخضم الرحب ليس تزيده     الا حياة سطوة الانواء!
اما اذا خمدت حياتي وانقضى     عمري واخرست المنية نائي!
وخبا لهيب الكون في قلبي الذي     قد عاش مثل الشعلة الحمراء!
فانا السعيد بأنني متحول     عن عالم الآثام والبغضاء!

لأذوب في بحر الجمال السرمدي وارتوي من منهل الاضواء !!

حقاً ، انا لم نعرف لابي القاسم ذلة في الشكوى ولا دموعاً في الملمات ولا جبن المخلوق في الوجود وها انتم ترونه رغم آلامه الجمة وجراحه العميقة قد ظل ( كالجبار يرنو دائماً للفجر ، للصحو الجميل ) فجر الانطلاق من اغلال المادة وقيود الحياة ، وشرور الورى وآثام المجتمع

فهو السعيد بتحوله ( عن عالم الآثام والبغضاء ، ليعيش في فجر الجمال السرمدي ، ويرتوي من منهل الاضواء )

وانه لسعيد اليوم في عالمه المطلق وكونه الرحيب ، مع حبيبه الفجر ، وصاحبه الحديد

فلتهنأ ـ أبا القاسم ـ بأملك الرحب المسحور ، وحبيبك الفجر الجميل ، وصاحبك الحديد المشرق ولتخلد هناك مع الخالدين الكبار وتسعد مع الصدّيقين والابرار

# الأدب المهجري...

## «واثره في شاعرية الشابي»

أن اثر الأدب المهجري في تفكير الشابي وادبه ، يكاد يفوق اي عامل سواه ويعود ذلك الى سني الدراسة الأولى ، حيث عرف عن الشابي انه كان يكثر من قراءة الأدب المهجري وحفظ اشعاره ، وليس من شك في ان النفس البشرية تتأثر اشد ما تتأثر في طفولتها ، فترتسم فيها كل صورة من صور الوجدان والفكر ، وكل طبع من طباع السلوك والأخلاق والشابي كان عند مطالعته لكتب الأدب المهجري دون الخامسة عشر من عمره ، وهي سن حد خطيرة في التفكير والسلوك والعادات ، اذ فيها تتراحم على ذهنية الناشىء صور غريبة جامحة ، والوان خلابة رائعة من الخيالات والحب والاحلام

والأدب المهجري أدب يمتاز بترمه الناعم وثورته الجامحة ، وصوفيته الحالمة ، وضروب شتى من الوان المثالية المجنحة في الحب والحياة والميول والآمال وهي الى ذلك معروضة فيه بشكل ساحر أخاذ ، كأنها عرائس الفردوس او عذارى الاساطير ، تتهادى بثيابها الناعمة كأزهار الروابي وأوراد

الساهين ناحية عن التائهين في آفاق الوجود ، الناقمين على أوضاع البشرية ومساويها المخزية ، الراغبين عن مظاهر الحياة الزائفة وألوانها الخادعة ، الناشدين الحب الخالص من القصد والغاية ، الباحثين عن الحياة المجردة من « أنا » و « أنت » و « لي » و « لك »

هذه الألوان البراقة والصور الراقصة الفاتنة ، قد جليت نفس الشابي في طوره الأول ، وقادت حياته المتوقد وحسه المرهف الى معابد الطبيعة الساحرة وهياكلها العرمة ، حيث اسمعته أغانيها الحلوة الناعمة ، وكشفت له عن مواطن الجمال والفتنة العارمة في نفسها ، واطعمته ثمارها المسحورة واسكرته رحيق ازهارها وورودها . فإذا هو ثمل بخمرة الجمال وفتنة الوجود ، هائم بحب الحياة المجردة كالزهور ، العارية كالانهار ، الحالمة كالورود في نسائم الأسحار ، المتغنية كأطيار الغابات وبلابل الحقول ، الراقصة كأمواج البحار وسنابل الزروع ، يرتل أغانيها بخشوع ، ويردد انغام السماء على مسامع الكون ، ويحرق في معبد الحياة و « هيكل الحب » اقدس ما يملك من قلب وعقل ووجدان فإذا شعره انشودة ساحرة في مسمع الأيام والاجيال ، خالدة على مر الازمان والعصور

وكذلك كان الشابي في جميع ما كتب من شعر ونثر شعلة تتقد وتنير مسالك الحياة وسبل المجد ، الى الثائرين في شمم ، الناقمين في قوة ، الطامحين الى القمم ، العاملين على بناء مجد فتي وأدب خالد !

ذلك ما كانه الشابي ، وذلك ما بعثه الأدب المهجري في روحه من

حيوية واشراق ، وصفاء وسحر بيان . ذلك كله لم يحل دون وجود عوامل اخرى ذات اثر واضح في ادب الشابي وتفكيره . وان اهم هذه العوامل - في نظري - ثلاثة :

١ - الادب العربي المترجم

٢ - اسلوب طه حسين وتفكيره

٣ - الادب العربي القديم

واكبر اثر لهذا العامل الاخير ، يعود للمعري وابن الفارض ، وابن الرومي والخيام . اما الادب الغربي فقد قرأ جميع ما وقعت عليه عيناه من روائعه المترجمة ، لجهله باللغات الاجنبية . وكان يعجب بكبار الشعراء الغربيين ويكبر من شأنهم ، واشد اعجابه كان لجوته الالماني ولامرتين الفرنسي . وقد حمله هذا الاعجاب على شيء من الغلو العنيف في انكار الخيال الشعري على الادب العربي . وذلك في محاضرته المشهورة بعنوان « الخيال الشعري عند العرب »(١) وفي هذا الكتاب يتبين لنا - من ثنايا سطوره وتساوق كلماته - اثر طه حسين في التفكير والاسلوب ، وان كان اثر الاسلوب اقل واضعف بكثير من اثر التفكير . كما يبدو فيه ايضاً اثر الادب العربي في تفكير الشابي وأدبه . على ان ذلك كله لم يقف في طريق الشابي دون استكماله لشخصيته الادبية في التفكير والاسلوب . وليس بعيب ان يتأثر الاديب بغيره من الشعراء والكتاب . انه من المستحيل ان

---

(١) طبع هذا الكتاب في مطبعة العرب بتونس سنة ١٩٢٩

يوجد كاتب او شاعر ، دون ان يتأثر بغيره من القدامى او المعاصرين في طالع حياته الادبية ـ على الاقل ـ ولقد استكملت شخصية الشابي عناصر تكوينها قبل وفاته بسنوات لا تقل عن الخمس ، حتى لقد غدا في قصائده الاخيرة ومقالاته مدرسة قائمة بذاتها ينتسب اليها كثيرون من ادباء الجيل الجديد . . وهذا احد المعجبين بأدب الشابي والمأخوذين بروعته وسحره يتحدث الينا عن اثر ذلك في نفسه فيقول (. وها نحن نرى فرحة الحيـاة ما انبثقت في قلب قط انبثاقها في قلب ابي القسم ولا تفجرت من شعر تفجرها من اشعاره وها هي الالفاظ في شعره وكأنها مفاتيح سحرية لعوالم من الانغام والفراديس نطوف فيها مع الشاعر مأخوذين بسحرها وفتنتها ، وانها لبرهان ساطع على ان الوقت قد حان للحكم على الشعراء ، لا بقدرتهم على تصيد المعاني وسبكها بل بقدرتهم على الانفعال النبيل والتحليق في آفاق من المعاني لم تكتشف ، ومدى قدرة الانماط على رسمها وتنغيمها وان أية محاولة لتحليل شعره ليست الا تشويهاً له ، فما تستطيع الالفاظ ولا الكلمات ان تمتد الى سره الا اذا كانت كلمات ابي القاسم نفسه والفاظه وهذه لو حللناها من عقودها الشعرية السحرية المنظومة فيها ، لا فقدناها ذلك السر الخفي الذي ينساب الى النفوس فيفعل فيها فعل الربيع بالزهر وغاية ما نستطيع قوله من هذا انه نفحات من الخلد انثالت على مزمار هذا الشاعر في ساعة رضى من خالق الاكوان عن ساكنيها )[1]

(١) الجزء الاول من شعراء الجيل للاستاذ محمد فهمي

ومع ذلك فانك حين تقرأ شعر الشابي لا تعدم في تعبيره او تصويره وفي افكاره او آرائه خطوطاً واضحة تدل على منبعها الاصلي. غير انه يزيد بقوة في التعبير وبراعة في العرض والتصوير، ومتانة في الاسلوب، وسعة في اللغة، وقوة في الخيال، وجمال في التراكيب، وروعة في التشابيه والاستعارات. وهي بلا شك ميزات جمة يستحق من اجلها الشابي ان يمجد ويخلد في صف شعرائنا الكبار القليلين. وذلك فضلاً عن مزايا ادبه الاصيلة الاخرى. ولبيان ذلك ولايضاح اثر الادب المهجري في ادب الشابي، نذكر هنا قصيدتين ذات موضوع واحد، احداهما لجبران والاخرى للشابي اما موضوع القصيدتين فهو «السعادة» في حياة الناس وفي نظر كل من الشاعرين يقول جبران عن السعادة في مواكبه:

وما السعادة في الدنيا سوى شبح ... يُرجى فان صار جسماً مله البشر

ويقول الشابي

وما السعادة في الدنيا سوى حلم ... ناء تضحي لـه أيامهـا الامم

ألست ترى معي (ايها القارىء) ان الصدر في البيتين واحد لفظاً ومعنى، سوى تغيير طفيف في اللفظ الاخير لم يغير من المعنى شيئاً؟ ثم قارن العجز في البيتين ايضاً فانك واجد - مثلما وجدت - من ان كلا الشاعرين صادق في تعبيره وملهم فيه، غير ان الشابي كان اعمق من جبران واصدق تصويراً منه للسعادة في واقع الناس على اننا حين نتتبع ابيات القصيدة عند كل منهما، نجد انهما يفترقان ثم يجتمعان مرة اخرى يفترقان حين يقول

جبران :

كالنهر يركض نحو السهل مكتدحاً حتى اذا جاءه يبطي ويعتكر
لم يسعد الناس الا في تشوقهم الى المنيع فان صاروا به فتروا
فان لقيت سعيداً وهو منصرف عن المنيع فقل : في خلقه العبر

ويقول الشابي :

ترجو السعادة يا قلبي ولو وجدت في الكون لم يشتعل حزن ولا ألم
ولا استحالت حياة الناس اجمعها وزلزلت هاته الاكوان والنظم
« فما السعادة في الدنيا سوى حلم ناء تضحي له ايامها الامم »
ناجت به الناس اوهام معربدة لما تغشتهم الاحلام والظلم
فهب كل يناديه وينشده كأنما الناس ما ناموا ولا حلموا
خذ الحياة كما جاءتك مبتسماً في كفها الغار ام في كفها العدم
وارقص على الورد والاشواك متئداً غنت لك الطير ام غنت لك الرخم
واعمل كما تأمر الدنيا بلا مضض والجم شعورك فيها انها صنم
فمن تألم لم ترحم مضاضته ومن تجلد لم تهزأ به القمم

وبديهي ان هناك فروقاً كثيرة وعديدة بين ابيات هذا وابيات ذاك . وليس مرجع ذلك الى كثرة ابيات الشابي عن جبران ، كما قد يبدو لأول وهلة ، بل ان ذلك يتضح في ان كلاً منهما يعرض ألوان السعادة عرضاً يختلف عن الآخر وقد سبق ان بينت اتفاقهما في معنى السعادة وصورتها في واقع الانسانية . ولكنهما هنا يختلفان فجبران يرى السعادة فكرة في

اذهان البشرية وشبحاً ترجوه باشتياق دائم ، فان هي ادركته بعد طول عناء وجهد مر ، ملته ورغبت عنه جادة في سبيل غيره من الاشباح ، وهي في ذلك كالنهر يكدح مسرعاً نحو غايته ، حتى اذا اشرف عليها توانى وتكاسل . وعنده ان الناس لا يستشعرون السعادة ولا يتحسسونها ، الا حين تشوقهم القمم وتغريهم المطامح ، واذا نالوها او اشرفوا عليها ، اصابهم الملل وتملكهم الفتور .

والشابي على عكسه ، يرى ان الناس لا يستشعرون السعادة ولا يتحسسونها الا باستسلامهم لمشيئة الدنيا ، وامتثالهم لقضائها واحكامها ، وتجنبهم الملل والتبرم منها . اذ ليس في الدنيا من تألم ورُحم ، او تجلد فرُحم وهذه هي سعادة الناس التي لا يدرك كنهها ويتذوق ثمارها ، الا رجل يريد ان تبتسم له الدنيا وتواتيه حظوظها ، فيماشيها كما تريد ويستسلم لما تحويه الليالي وتأتي به الايام

واذن ، فان جبران يرى السعادة في واقع الناس : شيئاً يسعون لنيله في شوق ملح وتعب عسير ، حتى اذا نالوه او اشرفوا عليه ملوه وتحولوا عنه الى غيره . ويرى الشابي ، ان السعادة في حياة الناس : شيء جميل طمحوا اليه فهبوا يجدون في سبيله ، ولكنه ناء بعيد ، لا يدركونه بحال ، والسعيد من عاش كما شاءت الحياة

وبعد ذلك يعود كل من الشاعرين فيلتقي بصاحبه ، وذلك حين يعرض علينا كل منهما ألوان سعادته وصور الحياة السعيدة (عنده) فيقول جبران :

ليس في الغاب رجاء | لا ولا فيه الملَلْ
كيف يرجو الغاب جزءاً | وعلى الكل حصل
وبما السعي بغاب | املاً وهو الأمل
انما العيش رجاء | احدى هاتيك العلل

* *
*

أعطني الناي وغن | فالغنا نار ونور
وأنين الناي شوق | لا يدانيه الفتور

* *
*

ويقول الثاني

وان اردت قضاء العيش في دعة | شعرية ، لا يغشي صفوها ندم
فاترك الى الناس دنياهم وضجتهم | وما بنوا لطعام العيش او رسموا !
واجعل حياتك دوحاً مزهراً نضرا | في عزلة الغاب ينمو ثم ينعدم
واجعل لياليك احلاماً مغردة | ان الحياة وما تدوي به حلم

وهكذا يتفقان مرة اخرى ، حين يعرض كل منهما صورة السعادة في نفسه ورأيه فيها فهما، كما ترى ، لا يعرفان للسعادة وجهاً الا في حياة الغاب فدونك « اخي » والغاب ان كنت تريد ان ترى ( السعادة ) وتحصي بها فيما تبقى لك من ايام اما انا فحسبي دون ذلك ، من هذه الحياة الصاخبة ، بما فيها من مطامع واعمال ، وكدح وأمل ، وأشواق واحلام

هذا – ايها القارىء – مثال واحد سقته للتدليل على اثر الادب المهجري

في اسلوب الشابي وتفكيره . على ان الشابي يمتاز ـ كما قدمت ـ بدقة بالغة في تعبيره وبراعة فائقة في تصويره ، الى غير ذلك من مقومات شخصيته الفذة العجيبة وليست تلك المزايا بالشيء القليل من شاعر قطعت يد الموت زهرة حياته الغضة ، في سن السادسة والعشرين . وهي سن جد باكرة ، ان قدرنا على التحديد ، سن الاستكمال الثقافي والنضج الذهني . ولكنها العبقرية تفعل ما تريد .. !

# تصوير وتعبير

اريد ان اعرض عليك الآن - ايها القارىء الكريم - شاعرية أبي القاسم ، ممثلة في صدقه في التعبير ودقته في التصوير ، وماتميص به صوره وتعابيره من الوان القوة والحيوية تلك القوة التي يعمرنا تيارهـا وتمتلك علينا مشاعرنا، حين نستمع لشعر القوة وانغـام الحياة كالسيل من قصيدتـه « ارادة الحياة »

اذا الشعب يوماً اراد الحياة     فلابد ان يستجيب القدر!!
ولا بد لليل ان ينجلي     ولا بد للقيد ان ينكسر!!
ومن لم يعانقه شوق الحيـاة     تبخر في جوها ، واندثر !
كذلك قالت لي الـكائنات     وحـدثني روحهـا المستتر
ودمدمت بقلبي دماء الشباب     وضجت بصدري رياح أخر

* *
*

وقالت لي الارض لما سألـ     ـت يا أم هل تكرهين البشر؟
« ابارك في الناس اهل الطموح     ومن يستلذ ركوب الخطر !
وألعن من لا يماشي الزمان     ويقنع بالعيش عيش الحجر !

هو الـكون حي يحب الحياة ويحتقر الميت المندثر !
ولا الافق يحضن ميت الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر !

* * *

..واعلن في الكون ان الطموح حبيب الحياة وروح الظفر !.

* * *

اذا طمحت للحياة النفوس فلا بد ان يستجيب القدر .»!!

إن هذه الأبيات المختارة من قصيدته « ارادة الحياة » لتعبر اوضح تعبير واصدقه على ما كان يجيش به فؤاد الشابي من حب للحياة وطموح الى الخلود ، وايمان صادق قوي بان النصر حليف الطامحين ، وغاية سامية يصل اليها المناضلون الذين عمرت قلوبهم الحياة ، وامتلأت بحبها ، فمضوا ينشدون النصر عن طريق الايمان والطموح ، والكفاح والنضال وهؤلاء هم ابناء الحياة الصادقون ، وويل لمن تعرض لابناء الحياة ، وسحقاً لمن كان عدواً لهم ، نادراً للشر بينهم ، حانقاً للحق ناشراً للجور ألا انه لظالم جبار ، وان يوم حسابه لعسير ، وان مصيره لنار وعذاب ودماء ولهيب ، وذلك أقل جزاء للظالمين الطغاة الذين يسخرون بأنات الضعفاء ، ويخضبون أكفهم بدماء الشعوب ، ويدوسون سحر الوجود بأرجاسهم ، ويبذرون اشواك الاسى والعذاب في ارجاء العالم هؤلاء هم طغاة العالم الذين سيجرفهم سيل الدماء ، يوم تريد الشعوب الحياة فاستمع معي لهذا كله معزوفاً على قيثارة الشابي ، في قصيدته « الى طغاة العالم »

ألا أيها الظالم المستبدُّ  حبيب الفناء عدو الحياة
سخرت بأنات شعب ضعيف  وكفك مخضوبة من دماه
وعشت تدنس سحر الوجود  وتبذر شوك الأسى في رباه

*
*  *

رويدك لا يخدعنك الربيعُ  وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الأفق الرحب هول الظلام  وقصف الرعود وعصف الرياح
ولا تهزأن بنوح الضعيف  فمن يبذر الشوك يجن الجراح !!

*
*  *

تأمل هنالك أنى حصدتَ  رؤوس الورى، وزهور الأمل
ورويت بالدم قلب التراب  وأشربته الدمع حتى ثمل
سيجرفك السيل، سيل الدماء  ويأكلك العاصف المشتعل !!

ألا قل لي بربك ، أي شعور فاضت به هذه النفس ، وأي إيمان امتلأ به قلبها ؟ إنها نفس تفيض بدقائق الأحاسيس وزواخر المشاعر، وإذا تصادم الإحساس الثائر والشعور الملتهب ، على شاطئ العواطف، فقد عزفت الحياة أروع ألحانها وأسمى أغانيها ، وأسمعت البشرية أنغام القلوب المتفجرة وترانيم المشاعر الملتهبة والعواطف الثائرة . وفي هذا كلـه سحر للعقول ، وفتنة للنفوس ، ومتعة للوجدان ، وامتلاك للأسماع والقلوب . وتلك حياة الفنان الموهوب : شعور زاخر وإحساس فوّار ، وقلب فروح أو حزين ونفس معذبة محطمة ، تمزق أوصالها الآلام ، ويزيد عذابها لهيب المرارة ،

او سعيدة مرحة تملؤها المسرة وتعمرها الطمأنينة تعيش مشبوبة بمشاعرها ، وتحيا بقلبها وعواطفها .

عش بالشعور ، وللشعور . فانما دنياك كون عواطف وشعور
شيدت على العطف العميق وانها لتجف لو شيدت على التفكير
واجعل شعورك في الطبيعة قائداً فهو الخبير بتيهها المسحور
صحب الحياة صغيرة ومشى بها بين الجماجم والدم المهدور
وعدى بها فوق السواهق باسماً متعيباً من اعصر ودهور
والعقل رغم مشيبه ووقاره ما زال في الايام جد صغير
يمشي فتصرعه الرياح فينثني متوجعاً ، كالطائر المكسور
ويظل يسأل نفسه متفلسفاً متنطعاً ، في حمة وغرور
عما تحجبه الكواكب خلفها من سر هذا العالم المستور
وهو المهشم بالعواصف يا له من سادج متفلسف مغرور

هذه الابيات ، نفثات من قصيدته : « فكرة الفنان » التي قالها بعد ان مر به طور عنيف من الحيرة والشك والغموض وفي هذه القصيدة يعبر عن اقصى ما وصل اليه من هدوء وطمأنينة وسلام فقد ظن بأن العقل ، بعد كل الذي بلغ اليه في حاضر الناس اليوم ، من علم وفلسفة وادب وفكر ، وبعد كل الذي اقامه من صروح الحقائق وامجاد المعرفة ، لايزال طفلاً صغيراً لا يفقه شيئاً من ناموس الوجود واسرار الكائنات لذلك فهو ينصحنا بان نجعل شعورنا في الطبيعة وما نضمه الطبيعة من بدائع وفنون

وما فيها من جمال وسحر ، وعليها من فتنة وضياء ، وبهذا نستطيع ان نتمتع بجمال الحياة ، وان نبتعد عن هذا التفلسف المغرور ، الذي يقودنا نحو الشقاء وضوب العناء .

غير اني احب ان انبه القارىء الى ان هذا الهدوء الواضح ، والطمأنينة العارمة في نفسه ، لم يصل اليهما عن يقين وجداني ، او اقتناع فلسفي بل هما ملال من البحث عن المجهول الغامض ، وكلل من سير عقلي متعب خلف سراب الحقائق الكونية فهما مرحلة من مراحل حياته الفكرية ، وفترة يستجمع فيها الشاعر قواه ، ويستجم خلالها من عناء الطريق ، وليستا غاية انتهى اليها البحث ، وآمن بها القلب ، وصدق الوجدان وليس ادل على ذلك من اننا نراه يعود مرة اخرى ـ بعد هذا الاستجمام الذي بدا لنا وكأنه استسلام بلا قيد ولا شرط ـ نراه يعود الى طور فلسفي غامض عميق يمتاز عن سابقه بمرارة نفسية حادة ، ويأس عنيف هائل ، وملال من الحياة قاتل ، ورغبة ملحة عاتية ، وضرب من المغامرة شديد رغبة في وضع حد لهذه الحياة الغامضة الاسرار ، ومغامرة بالحياة في سبيل المعرفة الحقة ، واستكشاف ما خفي من حقائق الكون المجهولة

أخذ الشابي في هذا الطور ، يحاول ان يدرك كنه الحياة ، وحقيقة الوجود واسرار الكائنات . من اين تأتي الحياة والى اين تمضي ؟ وما غاية الانسان ، بل من اين يأتي والى اين هو يذهب ؟ واي عالم هذا الذي يسمونه عالم الموت ؟ ولم يعيش الانسان بعد ان يولد وهو ينتظره

الفناء؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ ما الذي خلف الحياة؟ ما الذي وراء الموت؟ هكذا أخذ الشابي يعالج الفلسفة في شعره. وهكذا بدأ يبحث في أعمق موضوعاتها، دون ان يخيفه ما حول هذه الموضوعات من ظلام حالك وقفار شاسعة رهيبة، وما في هذين من اشباح مرعبة ووحشة مخيفة. لم يرهبه ذلك كله، لانه يريد ان يدرك كنه هذه الاسرار الغريبة، التي ينطوي عليها عالم ما وراء الموت فماذا عليه ان يعمل كي يستهدي.. ويستيقن، ويطمئن الى حق واضح ومنطق سليم، وواقع حي، يهدأ به القلب، وتسكن اليه النفس، ويخضع له العقل، ويرضى عليه الوجدان، ؟لاشيء سوى ان يرفرف بأجنحة خياله الزاخر، الى عالم الموت الغامض وفضائه المجهول، وهناك في « وادي الموت » العميق الارجاء الفسيح المدى، حيث تهب رياح غريبة ممطورة، وتمر مواكب الاجيال، ومحافل السنين، جلس شاعرنا في ظل واد امين تعرض هذه الاجيال والمحافل، محاولا ان ينفذ بتأملاته الى ما في اعماقها اكناه، ومكنوناتها من اسرار. غير انه لم يجد تلك الاسرار، ولم يظفر بما يريد، فعمره الشك الصاخب، وطفق يسأل

نحن نمشي وحولنا هاته الاكـ ـوان تمشي، لكن لأية غايه.؟

نحن نشدو مع العصافير للشمـ ـس وهذا الربيع ينفخ نايه!

نحن نتلو رواية الكون للمو ت ولكن، ماذا ختام الروايه..؟

هكذا قلت للرياح فقالت سل ضمير الوجود كيف البدايه؟!!

وتغنتني الصبابة نفسي فصاحت   في ملال مر . الى اين امتي ؟
قلت سيري مع الحياة فقالت .   ما جنينا ترى من السير امس ؟
فتهافت كالهشيم على الار   ض وناديت : اين يا قلب رفشي ؟
هاته علني احط ضريحي   في سكون الدجى وادفن نفسي !

• •
•

ثم ماذا ؟ هذا انا صرت في الد   نيا بعيداً عن لهوها وغناها
في ظلام الفناء ادفن أيا   مي، ولا استطيع حتى بكاها!!
وزهور الحياة تهوي بصمت   محزن ، مضجر ، على قدميا
جف سحر الحياة يا قلبي البا   كي ، فهيا نجرب الموت هيا!!

يقول الشاعر ان سحر الحياة قد جف ، وانه لذلك يريد ان يجرب الموت ، فهل كان صادقاً فيما عبر عنه وصوره من امانيه ومشاعره ، ومن ألوان حياته وعواطفه ؟ ان نظرة قصيرة في حياته ، ثم اخرى في شعره ، تريبا انه كان اصدق شاعر عرفته الآداب العربية المعاصرة وحسبنا ان نعلم ، ان الشاعر قد وضع لنفسه خطة ومنهاجاً يسير عليهما ولا يعدو حدودهما ، وذلك في بدء حياته الادبية ، اي قبل ان يبلغ الثامنة عشرة من عمره وقد ظل ثابتاً على ما رسمه لنفسه من مبادىء في عالم الشعر ، ومن مثل في عالم الحياة ، حتى عانق ضجاعه الحديد واحتضنته الابدية

وهذه ابيات قليلة توضح لنا ذلك ، من قصيدته « شعري » التي نظمها وهو بعد دون العشرين بسنتين او ثلاث

شعري نفاثة قلبي ان جاش فيه شعوري
لولاه ما انجاب عني غيم الحياة الخطير
ولا وجدت اكتئابي ولا وجدت سروري
به تراني حزيناً ابكي بدمع غزير

* *
*

لا انظم الشعر ارجو به رضاء الامير
بمدحة او رثاء تهدى لرب السرير
حسبي اذا قلت شعراً ان يرتضيه ضميري

وكذلك ظل الشابي ثابتاً على قداسة الشعر، والارتفاع به عن الاغراض الصغيرة والشؤون العابرة، وكل لون من الوان الحياة الباهتة او التافهة. وحتى الرثاء الذي هو لون من الوان التعبير عن عواطف النفس الانسانية، في حال حزنها وأساها، قد امتنع الشابي عن قرض الشعر فيه ولعل مما يدعو الى العجب، ان الشاعر حين نكب بوفاة والده، وكان لديه اعز شيء في الوجود، لم يستطع ان يرثيه بشيء مما اصطلح عليه في عالم الأدب بشعر الرثاء وكثيراً ما كان يحدث اصدقاءه بان لا شيء يحز في نفسه، اكثر من انه شاعر لا يستطيع ان يرثي اعز مخلوق عنده وكل ما فاضت به قريحته هو هذه الابيات «الايمان بالحياة»:

ما كنت احسب بعد موتك يا ابي ومشاعري عمياء بالاحزان
اني سأظمأ للحياة واحتسي من كأسها المتوهج النشوان

وأعود للدنيا بقلب خافق    للحب والأفراح والألحان
ولكل ما في الكون من صور المنى    وغرائب الأهواء والأشجان
حتى تحركت السنون وأقبلت    فتن الحياة بسحرها الفتان
فإذا أنا طامل الحياة المنتشي    شوقاً الى الأضواء والألوان
وإذا التشاؤم بالحياة ورفضها    ضرب من البهتان والهذيان
ان ابن آدم في قرارة نفسه    عبد الحياة الصادق الايمان

انها لصورة انسانية رائعة، قلّ ان تجد لها مثيلاً في شعرنا المعاصر والقديم على السواء ولم يعبر الشاعر عن هذه الصورة الرائعة، الا حين خفت احزانه وزالت آلامه، وعاد يعانق افراح الحياة ولكنه حدثنا عن نفسه وعن عبودية الانسان للحياة اكثر من حديثه عن والده الفقيد العزيز بل انه لم يذكر والده الا ليحدثنا عن نفسه وعن إيمانه بالحياة واقباله عليها، بعد ان غيبت مشاعره بالاحزان وهذا كل ما تركه الشاعر، من تعبير عن هذه الذكرى الاليمة التي بقيت حية باحزانها واتراحها في نفسه، تثير في قلبه اللوعة الدامية، وفي وجدانه صوراً شتى من الافكار والاشباح ورغم اقباله على الحياة، بافراحها وألوانها وبالحانها ومتعها. فان الضنى المحروم، فهو لا يزال يذكر مشاعره العمياء بالاحزان، وعواطفه المفعمة بالمرارة والأسى لفقده والده وما ذلك الا صدق الشاعرية في نفس الشاعر، حين لم يستطع ان يبتعد عن الحياة. وان يعبر عن واقع لم يحيه، او يتمثله في وجدانه كوناً يزخر بالصور والالوان فيبدع تصويره، ويبدع التعبير عنه وتلك مهمة

الشاعر الثاقبة وعقله الموهوب . والشعر عند ابي القاسم تصوير وتعبير ، تصوير صادق وتعبير صحيح . اما الشاعر فقوة خلاقة مبدعة ، تصور الكون والحياة ، وتعبر عنهما في قوة عجيبة وابداع ساحر . فشعر الشاعر ( قطعة من فؤاده ، وشعلة من روحه ) يصور العاطفة ابدع تصوير ، ويعبر عن اعماق النفس في صفاء واشراق . مسرحه الحياة ، ومعينه الجمال ، وحيويته صدق الشعور ، ومطمحه دائمه وخلوده .

أنت يا شعر صفحة من حياتي     أنت يا شعر قطعة من وجودي

فيك ما في جوانحي من حنين     أبدي الى صميم الوجود

وقد يعجب القارئ حين يطالع شعر الشابي ، ويعلم تفاصيل حياته - التي لم نعرض منها الا صورة جامعة توضح له حياة شاعرنا العجيبة ، وترسم بينها وبين شعره - قد يعجب لهذه القوة الزاخرة في شعره ، ولهذه الحيوية المتدفقة في كل بيت من ابياته . ولهذا الدم المتفجر ، والشعور الملتهب ، والعاطفة الفياضة بضروب الابداع والجمال وان اية واحدة من هذه جميعاً لكافية لأن تجعل من الشاعر نبياً لقومه ، وقبلة لجيله والاجيال الآتية ، بل نبياً لرسالة جمعاء ، وقبلة للإنسانية جمعاء . فالشاعر الذي يذوب قلبه انغاماً ، ويحترق وجدانه شعلاً ، وتستحيل كيانه الى نبع من القوة والسحر ، والفن والالهام ، شاعر حقيق بكل اجلال ، حري بكل تقديس وتمجيد ، جدير بكل تمجيد وخلود . وليس شاعراً من لم يرتفع الى قمة السمو ، ويتحول الكون في نفسه نغماً ، وتستحيل حياته قيثارة مترنمة وتنشد ( يوسع أفق الحياة

في نفسك ، ويجعلها تحس تيارات الوجود اكثر مما كانت تحس ، وتدرك من معانيه واصواته اكثر مما ألفت ان تدرك ، وينسيك وجودك الانساني لحظة لتستغرق في عالم الجمال المطلق )(١)

والشابي كان هذا الشاعر ، في كل بيت من شعره ، وكل نغمة من نغماته . وانك لتقرأ شعره ، فتشعر أن في كل بيت قطعة من قلبه ، وقطرة من دمه . ومزيجاً من العبقرية والالهام ، والصفاء والاشراق والى ذلك كله تحس ان هذا الشاعر لا يتصنع في شعره ولا يتكلف فيه ، بل هو صور وانغام تفيض على وجدانه ، وتنساب في تيارات مشاعره ، فيرسلها قلبه ــ وقد سقاها دمه وبث فيها من حياته ــ شعراً يبهر النفوس ، ويحدث في القلوب والعقول جميعاً انفعالات قوية ساحرة ، تنطلق بنا الى عالم مفعم بالرؤى والجمال وذلك صدق الشعور في تصوير الشاعر وتعبيره وذلك سر خلود الشابي وشعره وسر انتشاره وامتلاكه للنفوس ، رغم ان احداً من الناس لم يعن بجمع هذا الشعر ونشره ، ولا قام بالدعاية لصاحبه

(١) من مقال للشابي عن الشعر [illegible]

# زواج وحب

تزوج الشابي قبل أن ينهي دراسته العالية ، وترك بعد موته طفلين، هما اليوم من خيرة الشباب التونسي ، يواصلان دراستهما الثانوية في معاهد العاصمة الخضراء .

وعندي ، ان الشابي لم يكن موفقاً في حياته الزوجية . واغلب الظن انه تزوج ارضاء لوالديه او لاحدهم فقط . ومن المؤكد ان الشابي لم يجد في زوجته ، تلك الصورة الشعرية الرائعة التي كان يرسمها للمرأة في اشعاره ويتغنى بها في قصائده ، لذلك لم يلبث ان وقع في شراك حب عنيف، قاده الى معابد الغرام ومحاريب الهوى ، حيث رتل (صلواته في هيكله )واحرق قلبه وعواطفه بخوراً عند قدام الحبيب

على ان بعض اصدقاء الفقيد ينكر هذا الحب ، ويحاول تعليل ما قاله الشابي فيه من شعر ونثر ، بانه تمجيد لجنس المرأة وجمالها وفتنتها ، لا افتتان وحب لامرأة بالذات وفي هذا المعنى يقول صديقه الشاعر محمد الحليوي ما نصه

« وشبابه ما يتكلمون ... هو ان الشعر يتغنى بالمرأة ، لا

بامرأة ، ويذكر الحب ، لا حباً يميزه من انواع الحب الكثيرة ووقائعه الخاصة ... » ـ وهنا يستشهد الاستاذ الحليوي بالقطعة التالية من كلام الشابي ـ :

« كنا نسير نحو الغاب ، وكانت مباسم الحقول تحدثنا عن الحب والحياة ، وكانت تقنع السماء سحابة رقيقة ساجية ، كأنها قناع حورية من بنات الاحلام ، وكان الغاب يبدو في ضياء القمر كرؤيا نبي او خيال شاعر. وكان الحب يتهادى امامنا ثملا بين المروج الناعسة في سكون الليل ، وعلى منكبيه درع قصير كضباب الصباح ، جميل كغيوم الربيع . ولما اقتربنا من الغاب سمعنا طائراً يغني انشودة القمر ، وسمعنا قيثارة الحب تترنم في حواره ، وسمعنا صوتك العذب الجميل ، ينغي بوحي الجمال ، يا ابنة الليل ويا ربة الاحلام » (١) .

ثم يواصل الاستاذ الحليوي حديثه فيقول :

« فليس اذن في حب الشابي تلك الحوادث والوقائع التي تتدرج بالحب ، وتجعل له اولا واخراً ، ومعالم وكلمات تقال بين المحبين ، وآلاماً تعقب الصد ، وفرحات تجيء مع الوصال . فكأنه كان يصف فكرة لا امرأة ، ويصور مثلاً اعلى لا شخصاً من لحم ودم ، له ما يميزه عن الاشخاص الآخرين الذين يتغزل بهم شعراء الحب ورتما كانت حرارة

---

(١) اخذ الاستاذ الحليوي هذه القطعة من « صفحات دامية » وهو فصل من كتاب للشابي وقد اثبت الفصل برمته في قسم المختارات

شعره الغزلي ولهفته الصادقة متأتية من حرمانه من الاتصال بالمرأة التي توحي الى الشاعر وتوجه عاطفته الوجهة الفنية » (١)

ونلاحظ ان الاستاذ الحليوي ينكر وجود حب معين لامرأة بالذات في حياة الشابي ، وانه يحاول ان يدلل على ذلك بفقرات من كلام الفقيد نفسه ، وبعدم وجود تفاصيل لهذا الحب ، من صد ونفور ، ووصال واقبال وبكاء وشكاة ، مما يكون عادة بين المحبين !! وكأني به ادرك – وهو الشاعر الحساس – ان حرارة الغزل في شعر الشابي لا يمكن ان تأتي عفوا او يصطنعها الشاعر اصطناعاً ، فعلل ذلك بحرمان الشابي من المرأة التي (توحي الى الشاعر وتوجه عاطفته الوجهة الفنية) !! .

غير انا نلاحظ أيضاً ، ان الفقرات التي اثبتها الاستاذ الحليوي ، هي من فصل نشر في مجلة العالم الادبي ، وهذا الفصل أحد من كتاب لا يزال مغموراً حتى الآن . ولو ظهر هذا الكتاب لكشف لنا الكثير من الحقائق التي قد لا نعلمها اليوم على اني اعجب كيف فهم الاستاذ الحليوي من هذه الفقرات ان الشابي كان يتغنى بالمرأة « كجنس ، او كمثل اعلى » لا بامرأة بعينها ؟! ولو ان حضرته واصل قراءة الفصل برمته وانعم فيه الفكر والتمس غير رأيه تماماً ذلك ان نهاية الفصل لا تترك مجالا للشك ، في ان الشابي كان يتغنى بامرأة معينة ، اضناه حبها وعذبه هواه بها ورغم انا لم نعرف بعد – وقد لا نعرف ابداً – حقيقة هذه المرأة التي

---

(١) عن مجلة العالم الادبي التونسية س ٤ ، ع ٢ ، ص ١٦ – ١٧

أحبها ، الا ابي احرم بان التابي احب فتاة معينة، وانه شغف بهذا الحب الى درجة العبادة والتقديس ولا يستطيع احد قرأ القصائد : « الساحرة » و « صلوات في هيكل الحب » و « ارائر » و « تحت الغصون » و« الايمان بالحياة » و « جدول الحب » . ان يقول انه كان يتغنى بالمرأة « كحس او كمثل اعلى » فحسن حين يستمع الى الشاعر وهو يردد

ارائك فتحلو لدي الحياة ويعلو نفسي صباح الامل
وتنمو بصدري ورود عذاب وتحنو على قلبي المشتعل
ويفتنني فيك فيض الحياة وذاك الشباب الوديع الثمل
ويفتنني سحر تلك الشفاه ترفرف من حولهن القبل !!
واعبد فيك جمال السماء ورقة ورد الربيع الخضل
وطهر الثلوج وسحر المروج موشحة بشعاع الطفل

او حين يقول

عذبة انت كالطفولة كالاحلام كاللحن كالصباح الجديد !!
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليد !
انت ما انت؟ انت رسم جميل عبقري من فن هذا الوجود !
فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبود !
انت روح الربيع تختال في الدنيا فتهتز رائعات الورود !
وتهب الحياة سكرى من العطر ويدوي الوجود بالتغريد
كلما ابصرتك عيناي تمشين بخطو موقع كالنشيد

خفق القلب للحياة ورف الزهر في حقل عمري المجرود
وانتشت روحي الكئيبة بالحب وغنت كالبلبل الغريد!

حين نستمع الى ذلك كله ، لا يمكننا ان نشك لحظة في ان هذا الشعر انما قيل في امرأة معينة ، وان كنا نجهل حقيقة هذه المرأة .

ومن المؤسف والمؤلم معاً، ان هذه الفتاة او المرأة التي شغف بها الشاعر، قد ماتت قبل وفاته بست سنوات تقريباً ، فاحدث موتها في حياة الشابي وفي ادبه انقلاباً بعيد الأثر متعدد الجوانب والصور . ويمكننا ان ندرك هذا من مصادر مختلفة ، منها قصيدته « جدول الحب ، بين الامس واليوم » التي يقول فيها :

بالامس قد كانت حياتي كالسماء الباسمة
واليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمة

* * *

(هو جدول قد فجرت ينبوعه في مهجتي
احلام فاتنة ، ارتمت الحياة ، لشقوتي)
احلام فاتنة ، تراءت لي على سحر الشباب
كعروسة من عبقريات الشعر ، في شفق السحاب
ثم احتجبت خلف السماء ، وراء هاتيك الغيوم
حيث العذارى الخالدات ، يمسن ما بين النجوم
(ثم احتجبت ، لو دري ، طائرة بجمجمة المنون

نحو السماء ، وها انا في الارض تمثال التجون)

***

قد كان ذلك كله بالامس! بالامس البعيد ..

والامس قد حرقته مقهوراً ، يد الموت العتيد

قد كان ذلك ، تحت ظل الامس،والماضي الجميل

قد كان ذلك في شعاع البدر ، من قبل الافول

***

واليوم إذ زالت ظلال الامس عن زهري البديع

وتخلف الزهر الجميل بطلعة الليل المريع

ذبلت مراشفه ، فاصبح ذاويا ، نضو الكلوم

وهوى لأن الليل اسمعه اناشيد الوجوم

ومنها الفصل السابق نفسه « صفحات دامية » وفي هذا الفصل نرى الشابي يبكي حياة هذه الفتاة ، وحياته الماضية معها ، ويستعرض صوراً وألواناً مشرقة راقصة ، من حبهما السعيد الفقيد ، ثم يندب في نهايته ذلك الامس السعيد الذي كان يضمهما معاً تحت جناحيه ، كمدرتين متعانقتين في اعمق الثرى

« تلك كانت حياتي بالأمس ، حينما كانت نفسي بخوراً يتضوع في معبد الحب ، ورحيقاً يهرق تحت اقدام الجمال ، وانشودة آلهية تنعى في هيكل هذا الوجود .

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما تمايلت في قلبي رؤى الحب الجميل كما تمايل علائل الحور في ضياء القمر ، واصطفقت في صدري احلام الشباب الاولى ، كما تصطفق امواج البحيرة الموردة باشعة الشفق الجميل

تلك كانت حياتي بالأمس ، حينما كان هذا القلب الخفوق يتضوع بعبق الحياة ، ويتوهج بنار الخلود ، ويزخر بشتى العواطف والاحلام وحينما كانت نفسي تركع في محاريب الغاب الجميل ، مرتلة صلاة الحب واغاني الفصول

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما طفح بقلبي خمر الحياة وترنمت في نفسي اغاني الوجود ، ورقصت احلامي عرائس الغابات

تلك كانت حياتي بالامس ، وما شيده الامس في ضباب الفجر المرصع بالسحر ، قد هدمته الاهوال في احشاء الكهوف العابسة ، وأقفت بقاياه عيلان الظلام

تلك كانت حياتي بالامس . اما اليوم . فقد انكسرت بين تنوح الموت تلك الزهرة السماوية الطاهرة ، التي كانت تحبب لي البقاء في هـذا العالم ، وبقيت وحدي بين الصخور . أنشد بالموت واتغزل باهواء القبور »

واحسب ان هذا لا يترك مجالا للشك في ان الشابي كان يحب امرأة من لحم ودم . لا مثالا شعريا في عالم الخيال وانه شغف الى حد العبادة معشوق باسم «تن كنيبوس زبة الجمال واب هذه المرأة كانت حقيقة واقعة في حياة الشابي ، ولم كانت بزعة الحس ذات قتمة هوجاء واكثر من ذلك . زعم انه كانت تحبه حبا قويا ، وتبادله الغرام في خلوات

شعرية رائعة . ونحن نجد لهذه الخلوات الغرامية صداها القوي في شعر الشابي ووصفاً معطراً يلتهب بحرارة الحب ونار الهوى

اقرأ معي « تحت الغصون » ثم ردد « الساحرة » تر في هاتين القصيدتين وحدهما تصويراً مشبوباً لهذه الخلوات الغرامية ، ووصفاً مفعماً بالصدق والحرارة للقاءات الشاعر مع حبيبته وتناجيهما العذب الحنون

والواقع ان قصة حب الشابي لم تعرف فصولها بعد ، بل ان العنوان نفسه لا يزال مجهولا واحسب اننا لن نستطيع كشف هذه الفصول وجمعها بما يتفق والحقيقة التاريخية ، وبما جرى فعلاً في حياة الشاعر ، الا بعد الاطلاع على كافة تراث الفقيد الادبي ، ومعرفة جوانب معينة من حياة الشابي الخاصة وكلا هذين يحتاج الى وقت طويل وجهد كبير وإلى ان يتم كل ذلك سأظل مقتنعاً كل الاقتناع بأن الشابي احب في حياته حباً حقيقياً صادقاً ، وبأنه غرم بفتاة معينة غراماً عنيفاً مشبوباً ، وبأن تلك القصائد الغزلية الحسان المملوءة بالحرارة والوجد ، ان هي الا صدى صادق لذلك الحب ، وتصوير دقيق لاحتراق الشاعر به ، وتمجيده له ، وشكواه عنه

# مؤلفات الشابي

كثيراً ما كتب الكتاب وتحدث الادباء وحاضر الخطباء عن ابي القاسم الشابي ، ولكنه ظل مع ذلك يكتنفه الغموض ويحيطه الابهام ، ولم يعرف الناس ـ والادباء منهم خاصة ـ حتى الآن الا الجزء القليل من حياته وأدبه ، وبقي ما سوى ذلك ـ وهو الكثير الأهم ـ مغموراً عند اقارب الشابي واصدقائه حتى اليوم

وقلما نعرف شاعراً معاصراً نكب بما نكب به الشابي ، في حياته وبعد موته ، دون ان تتحرك يد واحدة لخدمة هذا الشاعر العبقري الفذ ، هذا الذي خلف لنا تراثاً ادبياً ضخماً ، ومدرسة جديدة ثائرة في الشعر العربي الحديث . وذلك رغم ان عمره الزاخر بالانتاج والابداع ، لم يتجاوز عمر زهرة في مطلع الربيع اذ مات وعمره ربع قرن من الزمن ، هاته المدة اليسيرة التي لا تتيح للانسان ان يستكمل خلالها شروط الثقافة والتعلم المتاح . فضلاً عن الابداع والابتكار اللذين يتسم بهما كل ما صاغته قريحة الفقيد ، وعبرت عنه شاعريته البديعة

وقد حاولت في عدة فصول سابقة الكشف عن جوانب كثيرة من

حياة هذا الشاعر المنكوب . وسأحاول في هذا الفصل الكشف عن آثاره الادبية المختلفة التي بقيت لنا بعد وفاته ، والتي نعرف عنها او منها شيئاً قليلاً او كثيراً ، حسب ظروفها منفردة ومجتمعة

## (١) الخيال الشعري

لعل القارىء لا يزال يذكر انني اشرت في فصل « حياة الشاعر » الى ان الشابي كان عضواً فعالا في « النادي الادبي » الذي اسسه هو وجماعة من الادباء التونسيين تحت اشراف جمعية « قدماء الصادقية » وباسم هذا النادي القى شاعرنا في قاعة « الخلدونية » محاضرته القيمة عن الخيال في الشعر العربي ثم نشرها بعد ذلك في كتاب مستقل عنوانه « الخيال الشعري عند العرب » . وقد أثارت آراؤه الجريئة في هذا الكتاب زوبعة من النقد والخصومة الأدبية في الصحف والمجلات التونسية وعلى صفحات مجلة « ابولو » المصرية ولكن الشابي استطاع ان يخمد هذه الزوبعة في الصحف والمجلات ، وان لم يستطع اخمادها في نفوس بعض الناس .

والكتاب مفقود اليوم في المكتبات ، ولم يقم احد باعادة طبعه ، مع انه الأثر الوحيد من بين آثار الشابي الذي طبع واتيح للناس ان يقرأوه . ولعل الجيل الحاضر لم يعرف من الكتاب الا اسمه ، وقليل هم اولئك الذين قرأوه وحين يقع بين يديك هذا الكتاب ستجد انه من حجم صغير ، وانه ذو ١٥١ صفحة ١٣½×١٨ وقد تمت نشره سنة ١٩٢٩ « دار

العرب» للطبع والنشر في تونس لصاحبها الاستاذ زين العابدين السنوسي وهو الذي كتب للكتاب مقدمته

والكتاب من حيث تبويبه يحتوي على كلمة المؤلف ومقدمة للناشر وسبعة فصول هي (١) الخيال واقسامه (٢) الخيال الشعري والاساطير العربية (٣) الخيال الشعري والطبيعة (٤) الخيال الشعري والمرأة (٥) الخيال الشعري والقصة (٦) فكرة عامة عن الادب العربي (٧) الروح العربية وهو من حيث موضوعه فهو دراسة نقدية مقارنة بين الخيال الشعري عند العرب وعند الاوروبيين

(٣) اغاني الحياة

اعتزم الشابي نشر شعره منذ سنة ١٩٢٩. فعندما نشر كتابه «الخيال الشعري عند العرب» أعلن في صفحة غلافه الاخيرة، عن قرب صدور ديوانه «اغاني الحياة» والذي يبدو ان الشاعر لم يتيسر له نشر ديوانه لأسباب قد تكون مادية حقة وقد لا تكون على اننا نجد بعد ذلك بربع سنوات علانات متتالية عن قرب صدور الديوان، في مجلة «ابولو» المصرية ومجلة «العالم الادبي» التونسية وقد فتح باب الاشتراك في الديوان امام قرائه، مما يدل على ان حالة الشاعر المادية كانت لا تكفي وحدها لطبع ديوانه

والذي سمعته من بعض الناس في تونس - وقد يكون غير صحيح -

أن احد اقارب الشابي قد استولى - بعد وفاة الشاعر - على الديوان وعلى ما تجمع من اموال المشتركين بوصفه الوصيّ الشرعي على اطفال الفقيد وامواله وتراثه الأدبي ويقال ايضاً، إن عروضاً كثيرة لنشر الديوان قد عرضت على هذا (الوصي الأمين) من قبل ناشري الكتب في تونس، فرفضها اعتباطاً او لأسباب خفية غامضة وبذلك انبعث في نفوس الأدباء الجزع والقلق على مصير الديوان، وهو اضخم تراث خلفه الشابي. وقد انتقل الديوان اليوم من يد الوصي الى شقيق الشاعر الاستاذ محمد الامين الشابيّ، الذي عاد اخيراً من فرنسا يحمل شهادة التبريز (AGRE CATION) في الأدب العربي وقد قيل إنه يعتزم طبعه كاملاً على النهج الذي وضعه صاحب الديوان

وأنا هنا باسم جميع الادباء العرب أهيب بشقيق الشاعر الاستاذ المبرز في الادب العربي، أن ينشر تراث اخيه كله على الناس وأن يبادر قبل كل شيء بنشر الديوان، فهو عنوان عبقرية الشابيّ ومرآة نبوغه. وهو المجال الكبير الذي اظهر فيه ابداعه وتجديده، وعصر فيه روحه الكئيبة وقلبه الجريح

(٣) في المقبرة

رواية توجد بين مخلفات الفقيد عند شقيقه. وقد تحدث عنها الاستاذ زين العابدين السنوسي في كتابه «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر

المهجري » عند ترجمته لحياة الشابي فقال ·

والشابي (كثير المطالعة ، حاد الذهن ، وله باع طويل في النثر الشعري قرأنا له فيه رواية حسنة بديعة ، ناهيك أنها من نوع « الاعترافات » يقص فيها على لسان بطلها حوادثه ونزواته النفسية وهو نوع عزيز حتى عند الامم المختمرة في نفسها الروح الروائية ، لما يستوجبه من تقمص اشخاص الرواية في قلم الكاتب الذي يضطر الى وصف انفعالاتهم واضطرابهم النفسي الشاذ ؛ خصوصاً وعلم النفس لم يصبح بعد عالماً معلوماً مضبوطاً !) (١)

(٤) صفحات داميــة

« من حياة شاعر »

أشرت الى هذا الكتاب عند حديثي عن كتاب الشابي وحبه ، وهو (قصة حياتية لحياته الثائرة ) ولا اعلم اين انتهى اليه مصيره ولا عند من يكون اليوم

(٥) رسائل الشابي

مجموعة كبيرة من الرسائل الادبية القيمة ، تبادلها الشاعر مع كثير من ادباء مصر وتونس وسورية ، منها رسالته حول القصة في الادب العربي ،

---

(١) كتاب مذكور ص ١٠٣ مطبعة العرب تونس ١٩٢١

وقد راسل بها الشاعر الدكتور علي الناصر بحلب ورسائل اخرى كاتب بها كلاً من الدكتورين الشاعرين ابراهيم ناجي واحمد زكي أبو شادي صاحب مجلة « ابولو » المصرية واخرى كاتب بها كلا من الشعراء محمد الحليوي ، ومصطفى حريّف ، والمرحوم محمد الشروش بتونس وقد اطلعت على نماذج من هذه الرسائل كما نشر بعض منها في المجلات التونسية وهي جديرة بان تجمع في كتاب خاص تحت اسم « رسائل الشابي » لما تحويه صفحاتها من آراء قيمة في الادب العربي وفنونه المختلفة ، ومن مشاعر رقيقة عذبة ، وتصوير دقيق لآلام الشابي وألوان حياته الكثيرة المتباينة

(٦) يوميات الشابي

وهي مجموعة من المذكرات اليومية التي سجل فيها الشاعر آراءه وخواطره في شؤون حياته المختلفة . وفي كل ما كان يتصل بهذه الحياة من آلام وأفراح وهي موجودة اليوم عند صديقه الأستاذ ابراهيم بورقعة المحامي بمدينة صفاقس وقد نشر بعضها في مجلة « مكارم الاخلاق » الصفاقسية . بداية من عددها الثاني لسنتها الاولى فعسى ان تتحرك همته لنشرها بين الناس كاملة في كتاب مستقل

(٧) جميل بثينة

قصة جميلة رائعة كتبها باسلوبه الشعري البديع وكان ينوي اتمامها

## (١١) مقالات مختلفة

وللشابي، فضلاً عن ذلك كله، مجموعة كبيرة من المقالات والدراسات المختلفة. تناول فيها شؤون الادب العربي قديمه وحديثه على السواء. وقد نشر بعضاً منها في حياته ولا يزال بعضها الآخر مغموراً في احضان الاهمال والتقصير

والمقالات التي نشرها كثيرة في عددها، رائعة في اسلوبها، دقيقة في بحثها وموضوعها وقد انتقت في قسم المختارات نماذج منوعة منها، أرجو ان يجد فيها القارىء بعض ما يعينه على فهم شخصية الشابي وتحديد اتجاهاته الادبية

وبالاضافة الى ذلك اذكر بصورة خاصة المباحث والمقالات التالية

(١) دراسة مستفيضة عن التيارات المعاصرة في الأدب العربي، وعن الصراع القائم بين المحافظين والمجددين وقد كتبها كمقدمة لديوان الينبوع للشاعر الدكتور احمد زكي ابو شادي

(٢) مقال بعنوان: الشعوب والنفس العربية وهو منشور بمجلة المباحث التونسية. العدد الاول من السلسلة الاولى سنة ١٩٣٨

(٣) مقال بعنوان. روح ثائرة، وهو منشور بمجلة العالم الادبي عدد ٨ سنة ٣ جوان ١٩٣٢

ذلك هو النتاج الذي قدمه الادبي خلال عمره القصير، وتلك هي مؤلفاته التي عرفها اصدقاؤه وزملاؤه اثناء حياته وبعد موته واكثر هذه

المؤلفات مجهول مصيرها اليوم كما ان بعض الادباء التونسيين المعاصرين للفقيد يعتقدون بوجود آثار ادبية اخرى، غير تلك التي تحدثت عنها. وهم يظنون انها لا تزال باقية في ما خلفه من تراث ادبي عند اهله واقاربه.

ومن المؤسف حقاً ان يلاقي الشابي هذا الاهمال الفظيع بعد موته، سيما من اقرب الناس اليه وألصقهم به في حياته، ممن كانت تربطه بهم روابط الدم او الاخاء والود الشديدين.

وحتى اليوم، وبعد مضي اكثر من سبعة عشر عاماً على وفاته، فان مخلفاته الادبية لا تزال مغمورة في احضان النسيان والاهمال وان اخوف ما اخافه، ان يكون بعضها قد اصبح اليوم في اعماق الماء، او سائراً في طريقه اليه وتلك خاتمة أليمة محزنة، ستتم معها — ان حدثت — الحلقة الاخيرة من مأساة هذا الشاعر المنكوب

والغريب في الامر ان كثيراً من ادباء تونس ممن كانت تربطهم بالفقيد روابط الود والصداقة العميقة، وآخرين من المعجبين به والمقدرين شاعريته وادبه، يؤلفون — كل سنة تقريباً — لجنة ادبية تقيم حفلاً تذكارياً، بمناسبة مرور «كذا» من السنين على وفاته او ميلاده فيخطبون بحماسة، ويتحدثون عن شاعريته ونبوغه بالكثير وإجلال بالغين..!! ثم ينتهي الاحتفال وينتهي معه كل شيء، كأن ذلك فقط هو كل ما يجب عليهم ان يقوموا به تجاه الشابي، وكأن ذلك فقط هو كل ما تحتمه عليهم قداسة الذكرى، وحرمة الروابط التي كانت تصل بعضهم بالفقيد

لمن تمجيد الشابي او الاشادة به، لا يتم على وجهه الاكمل الأصح، إلا بنشر مؤلفاته بين الناس . وفي ذلك اكبر ما يسدى من جهد وتقدير، لا للشابي وحسب ، بل وللشعب الذي ينتسب اليه ، وللادب العربي الذي عاش له وضحى بحياته في سبيله .

ألا ليتهم يسمعون هذا النداء ، ويلبونه مسرعين !!

# خاتمة

اني لم اتعرض في الفصول السابقة ، لتحليل شعر الشابي وفك معانيه واسراره . انما بسطت القول ـ بقدر الامكان ـ في كثير من الجوانب المتصلة به ، والعوامل التي كان لها أثر واضح في طبعه بطابع معين ، وتوجيهه هذا الاتجاه بالذات .

وان أية محاولة لتفكيك معاني هذا الشعر ، وتحويل صوره وانغامه الى صور من النثر وقوالب جديدة من الكلام ، انما هي تشويه له ومسخ لا يرضاه أي ذوق حريص على هذا الجمال الذي يملأ احواء شعره . وهذه الانغام المتموجة في آفاقه ورحابه ولئن حاولت في بعض الفصول تحليل بعض المعاني ، واظهار بعض الصور ، وفك بعض الابعاد . فانما هي محاولة قد يوافقني القارىء ، على انه كان من الافضل عدم القيام بها لذلك فأنا اترك القارىء امام هذا الشعر ، ليحلق في احوائه وحده . وليستكشف بكل خبايا نفسه واعصاب قلبه وصميم وجدانه ، كل ما ينطوي عليه هذا الشعر من عوالم ورموز ، وكل ما يحويه من تجارب وانفعالات وحسبي ان اقدم له اكبر مجموعة من شعره التي نشرت حتى الآن .

والى جانبها بضعة فصول من جيد نثره . وبذلك أتيح للقارىء آفاقاً اوسع مما اتيح له حتى الآن ، ليستطيع أن يدرك بنفسه الكثير من مزايا ادب الشابي ، وخصائص شعره ، وجوانب شخصيته الفذة العجيبة .

ولا اشك لحظة ، في ان القارىء قد ادرك من خلال الفصول السابقة ، ان الشابيّ كان من جند الطليعة القليلين ، الذين تكبدوا وحدهم امر التضحيات واهول العذاب ، في سبيل الرسالة المقدسة ، والعمل النافع لامتهم . فلقد حمل الشابي لواء التجديد في الأدب . كما حمل المرحوم الدكتور محمد علي[1]، لواء الاصلاح الاقتصادي ، والدفاع عن الطبقات العاملة المضطهدة . والى جانبهما ، كان المرحوم الطاهر الحداد[2]، قد بذل حياته العزيزة ، يوم تقدم وحده الى ساحة النضال وحمل بشجاعة نادرة لواء الاصلاح الاجتماعي بدعوته الجريئة الصادقة ، الى تحرير المرأة والنهوض بها ، تمهيداً لمساواتها بالرجل مساواة كاملة غير منقوصة . كذلك نرى فريقاً آخر من المناضلين الاحرار قد حمل وحده لواء الاصلاح السياسي ، والنهوض بالشعب من جموده وركوده ، ودفعه الى معمعة الحياة ، ليكافح في سبيل حقه فيها ، وليناضل عن استقلاله الفقيد ، وحريته الضائعة .

وقد اتخذ هؤلاء المصلحون الاحرار ، ـ كل في حقله الخاص ـ سبيل التجديد ، واستعملوا اساليب فنية مستحدثة ، لا عهد لسابقيهم بمثلها فيها القوة

---

(١) هو رائد العمال التونسيين اليوم ، في نضالهم التحرري الشاق .

(٢) هو حبيب الشعب ونصير المرأة . وقد ذهب ضحية الجحود والرجعية سنة ١٩٣٠ ـ طالع حياته ونضاله الفكري والاجتماعي في كتاب « عبقرية الحداد » الذي سأنشره عما قريباً .

والايمان ، والحيوة والعزم ، والثبات والجد ، والتضحية والفداء . وان اي عمل مقدس جليل ، من اعمال التربية ، كان خالياً من واحد من تلك المثل جميعاً ، لمحكوم عليه سلفاً بالفشل والاندحار

وما كان طريق المجد ـ في يوم من ايام التاريخ ـ مفروشاً بالازهار والورود ولا كان للانسانية في تاريخها الطويل ، ان تخطوا الى الامام شبراً واحداً دون آلام وضحايا

وما كان لقائد ان يكسب معركة في حرب ، او ينال نصراً في قتال دون خسارة في جنده ، وتضحيات في عدده وعتاده .

وما كانت جراحات الشابي ، وآلامه ونفسه ، إلا تلك التضحيات الجبارة والخسائر الجسيمة ، التي هي طريق المجد ، ودرب العبقرية الباهرة ، والخلود المنتصر

وها هي تلك الجهود الرائعة . التي بذلها الشابي في حياته ، وبذرها رفاقه ( من جند الطليعة ) في مناحي الحياة الاخرى ، وسقوها جميعاً بدمائهم وتضحياتهم ، ها هي اليوم تمد ظلالها الوارفة على حياة الشعب التونسي ، وتحقق منه قوة جبارة واعية . تعمل للخلاص في كل حقل من حقول الحياة . وتشيد بناء المجتمع الجديد المنتظر . في كل ركن من اركان الوطن .

وان تلك الصورة الرائعة للمجتمع السعيد ، الذي كان يعمل له الشابي ورفاقه من جند الطليعة ، والتي كانوا يرسمونها في احلامهم وآمالهم ، ثم يفتحون اعينهم فلا يجدون منها شيئاً في بيئتهم ، ها هي قد بدأت تتحقق

اليوم مرحلة مرحلة   بفضل الجدور الزكية ، والجهود الفعالة ، التي بذلوها بايمان واخلاص

وليت الشابي ، يعلم اليوم في عالمه السرمدي ذاك ، اننا نمشي بخطى جبارة ، صوب ذلك الامل المنشود ، الذي كان يسعى جاهداً لتحقيقه ، ويحترق في أتون العبقرية والايمان ، ليضيء الى شعبه طريق الحياة الظافرة اليه ، وليجعل من مجتمعه مجتمعاً يفيض بالمحبة والخير ، ويزخر بألوان الجمال وصور السعادة .

ليته يعلم اننا نسعى جاهدين ، في سبيل تلك الاماني والاحلام ، التي خاطب بها احد اصدقائه مرة فقال :

« . إن تونس لفي حاجة الى ابنائها ، الذين تتدفق في دمائهم عزمات الفتوة ، ونخوة الشباب ، ونشوة الاحلام

ان تونس لفي حاجة الى ان تتقدم بخطوات ثابتة ، في سبيل النور والزهور

ان تونس لفي حاجة الى ان ترفع رأسها عالياً حتى تشاهد انوار السماء ونجومها ، وحتى تقبّل شفتيها اضواء النجوم

ولئن كانت تونس فقيرة الى هذا الضرب من ابنائها ، هذا الضرب الذي يحن الى ان يعيش عيشة كلها حق ولذة وجمال ، وكلها احساس وشعور وعواطف . لئن كانت تونس فقيرة الى هذا النوع من ابنائها ، ليجب على النفر القليل منهم ان يبذلوا كل ما في جهدهم من عزم وقوة ، وحمية وشباب ، حتى

يستطيعوا ان يكوّنوا نشأ حياً مخلصاً ، شاعراً بواجبه لامته وللحياة وللوجود وان يخلقوا في الواقع ذلك الوسط الحي الجميل ، الذي نتصوره في احلامنا ، ثم نلتفت فلا نلمح له اثراً . ! »

أي نعم ! إن تونس لمحتاجة الى ابنائها ، وانهم لفي حاجة اليها ، وها هم ابناؤها اليوم ، يسيرون في طريقك مستضيئين بنورك ، مترنمين بأناشيدك ، في جميع مواكبهم وافراحهم ، في كل نضالهم وتضحياتهم وهم بذلك جد سعداء إذ يموتون في سبيل شعبهم ، وفي سبيل تلك المثل السماوية الساحرة ، التي عشت لها وتعبت بقداستها وجمالها وذلك ما يزيدنا ايماناً بأنك قائد جسور ، ومصلح خطير وانك خالدٌ في ضمير الشعب وذاكرة الاجيال !!

وانك اذ تعيش اليوم في فجر الخلد السرمدي . وتطير مجنحاً في آفاق صباحك الجديد الخالد ، فانما لتحيا في فجر جديد من الحياة ، مليء بالنور والايمان ، وكأنه كفاح ونضال ، كفاح تغمره العظمة . ونضال يفيض بالرضى والاطمئنان . !

فلتعش في كوكبك العلوي ذاك . ولتسعد به . وبسعد بك ولتطمئن الى ان حبيبتك الجميلة الساحرة ـ تونس الخالدة ـ قد عدت تتيه فخراً ، وترفع رأسها في كبرياء وعظمة ، لكثرة عشاقها من ابنائها . المتفانين في هواها . المتساقطين صرعى عند أقدامها ، الباذلين الدماء والارواح في سبيل تحريرها من كل الاغلال وجميع القيود

اي ابا القاسم!

لقد تجاهلك قومك وهم بعد نيام ، فكللوا هامتك بالشوك وتوجوا رأسك بالعوسج ، فتأوهت وتألمت . ثم مضيت الى دنيا لا شر فيها ولا فساد ، ولا نكران ولا عقوق . وها انت ذا تنظر اليهم اليوم من عالمك السعيد ، وتشرف عليهم من علياءك الخالدة ، فتراهم وقد نهضوا مسرعين ، وتوثبوا الى العمل والى البناء . وتسابقوا للتضحية والفداء . وان رؤيتهم في هذه الالوان من الكفاح ، والصور من الحياة ، لتبعث في النفوس الرضى والاطمئنان والثقة والامل ، في مصير هذا الشعب المناضل الكريم !

وان قومك اذ ينهضون للحياة ويتسابقون في الكفاح ، فانما ذلك ثمرة غرسك ، ونتاج عملك ، فهو منك وسيكون خلداً باسمك مدى الازمان والاجيال.

انظر هوذا تمرك على افواه قومك اغاني واهازيج ، واسمك في كل لسان وبكل مكان . وسيأتي ذلك اليوم الذي ترى فيه قومك يوفونك حقك من الاكبار والتقدير ، فينشرون آثارك بين الناس في طبع فاخر عزيز . ويقيمون لك التماثيل في كل مدينة من وطنك . ويجعلون اسمك نشيدة خالدة ، وعنوان فخر مستديم . وان هذا القليل من كثير مما تستحقه وجب لك . واني مؤمن اشد الايمان ان هذا اليوم قريب ، وقريب جداً .

وستعيش سعيداً بين خفوق خلود ، في دنياك وفي احراجك . وتتسارك من عالمك السرمدي بقدس من شعبك ونهضة مثلك !!

# مختارات

من

## أغاني الحياة

# القسم الاول

## ﴿ ما قبل العشرين ﴾

# شعري

شعري نفاثة قلبي      إن جاش فيه شعوري
لولاه ما انجاب عني      غيم الحياة الخطير
ولا وجدت اكتئابي      ولا وجدت سروري
به تراني حزيناً      أبكي بدمع غزير
به تراني فرحاً      أجرّ ذيل حبوري

*
* *

لا أنظم الشعر أرجو      به رضاء الأمير!
بمدحة أو رثاء      تهدى لرب السرير!
حسبي إذا قلت شعراً      أن يرتضيه ضميري!!

*
* *

ما الشعر إلا فضاء      يرف فيه مقالي
فيما يسر بلادي      وما يسر المعالي!!

ومـا يثـير شعوري　　من خافقات خيالي

* *

لا اقرض الشعر أبغي　　بـه اقتنـاص نوال

الشعر ان لم يكن في　　جماله ذا جلال

فـانه هو طيف　　يسعى بوادي الضلال

يقضي الحياة طريداً　　في ذلة ، واعتزال

# تونس الجميلة

لست أبكي لعسف ليل طويل ... أو لربع غدا العفاء مراحه
إنما عبرتي لخطب ثقيل ... قد عرانا، ولم نجد من أزاحه.
كلما قام في البلاد خطيب ... موقظ شعبه، يريد صلاحه
أخمدوا صوته الإلهي بالعسـ ... ـف، أماتوا صداحه ونواحه
ألبسوا روحه قميص اضطهاد ... فاتك، شائك، يرد جماحه
وتوخوا طرائق العسف والإر ... هاق معه، وما توخوا السماحه
هكذا المخلصون في كل صوب ... رشقات الردى إليهم متاحه
غير أنا تناوبتنا الرزايا ... واستباحت حمى وأي استباحه

* * *

أنا يا تونس الجميلة، في لج ... الهوى قد سبحت أي سباحه
شرعتي حبك العميق، وإني ... قد تذوقت مره وقراحه
لا أبالي وإن أريقت دمائي ... فدماء العشاق دوماً مباحه

* * *

إن ذا عصر ظلمة غير أني ... من وراء الظلام شمت صباحه
ضيع الدهر مجد شعبي ولكن ... ستردّ الحياة يوماً وشاحه

# زئير العاصفة

أرى المجد مغصوب الجبين مجدلا
على حسك الآلام يغمره الدمُ
وقد كان وضاح الأسارير باسماً
يخف الى الجلّى ولا يتبرم
ألا أيها الظلم المصعّر خده
رويدك إن الدهر يبني ويهدم!
أغرّك أن الشعب مغض على قذى
لك الويل من يوم به الشر قشعم!
سيثأر للعز المحطم تاجهُ
رجال، إذا جاش الردى فهم هم!
رجال يرون الذل عاراً وسبة
ولا يرهبون الموت والموت مقدم!
وهل تعتني إلا نفوس أبية
تصدع أغلال الهوان وتقصم!

الا إن احلام البلاد دفينة
تجمجم في اعماقها ما تجمجم
ولكن سيأتي بعد لأي نشورها
وينبثق اليوم الذي يترنم !
هو الحق يغفى راكداً ، فاذا طغى
بأعماقه السخط العصوف يدمدم !
ويسخط ، كالصخر الاصم اذا هوى
على هام اصنام العتو ، فيحطم !

* *
*

اذا صفق الجمار تحت قيوده
سيعلم أوجاع الحياة ويفهم !!

# الحرب

هل الحروب سوى وحشية نهضت
في أنفس الناس فانقادت لها الدول
فأيقظت في قلوب الناس عاصفة
فاسودت الشمس وارتدت لها السبل
فالدهر مشتعل بالنار ، منتحب
من المآتم والأيام تشتعل !
والأرض دامية ، والكأس حامية
والشر ـ يحلق في آفاقها ـ ثمل !!
والموت يسبح في موج الصحيح فلا
يبقى ، ويخطف من قد خانه الأجل
وفي المهامه أشلاء ممزقة
تتلو على القفر شعراً ليس ينتحل
تثير في النفس أحزاناً يرق لها
فم الفؤاد بتغريد ، فتنهمل

# لعلعة الحق

يقولون : صوت المستذلين خافت
وسمع طواغيت التجبر أصمم (١)

وفي صيحة الشعب المسخر زعزع
تخر له شم العروش ، وتهدم!

ولعلعة الحق الغضوب لها صدى
ودمدمة الحرب الضروس لها فم

إذا التف حول الحق قوم ، فإنه
يصرم أحداث الزمان ، ويبرم!

---

(١) أصمم : صم

# فنّ الظلام

رفرفت في دجية الليل الحزين  رفرفة الاحلام
فوق سرب من غمامات الشجون  ملؤها الآلام

كنت إذ ذاك على ثوب السكون  انثر الاحزان
والهوى يسكب اصداء المنون  في فؤاد فان

ساكناً مثل جميع الكائنات  راكد الالحان
هائماً قلبي بأعماق الحياة  تائهاً حيران

ب ساحب على الدنى يسدا  قصص الأعمار
وه وجسر على طول المدى  ساطع الأنوار

فورة الشعر واحلام السلام  وجمال النور
وابتسام السحر في حرب الظلام  في العيون الحور

# الزنبقة الذابلة

أزنبقة السفح ! مالي أراك
تساورك اللوعة القاسية ؟
أفي قلبك الغض صوت اللهيب
يرتل أنشودة .. الهاوية ؟

* * *

أأسمعك الليل ندب القلوب
وأرشفك الفجر كأس الأسى
أصب عليك شعاع الغروب
نجيع الحياة ، ودمع المسا ؟

* * *

أأوقفك الدهر حيث يمر
موج الحياة صموت الصخور
ويشتق الليل صمتاً كئيباً
رهيباً ويخنق صوت الزهور !

اذا أصحرتك أغـاني الظلام وقـد عذبتني أغـاني الوجوم !!
وان هجرتك بنـات الغيـوم فقـد لزمتني فتـاة الجحيم !!

***

وان سكب الدهر في مسمعيك نحيب الدجى ، وأبينَ الأمل !!:
فقـد أجج الدهر في مهجتي شواظـاً من الحـزن المشتعل

***

وان قبلتك شفـاه الحياة وصبت عليـك الرضاب المرير
فقد صفعت مهجتي الداميـة نعل الشتاء اكف الدهور

***

أصيحي ، ثم بين أعشار قلبي يرف صدى نوحـك الخافت
معيداً على مهجـتي تحمق جناحيـه همس الردى الصامت

***

فقد أترع الليل تحت كأسي وشعشعـه بلهيـب الحيـاة
وجرعني من ثمالاتـه مرارة شجـو تفـت الصفـاة

***

في فقد وجدت بنفسا قساوة هذا الزمان الظلوم
فقد وجرت في هدي الكلوم كم وجرت فيك تلك الكلوم

# الدموع

ينقضي العيش بين شوق ويأس والمنى بين لوعة وتأسي
هكذا سنة الحياة ، ونفسي لا تروم الرحيق في كأس رجس
ملئ الدهر بالخداع ، فكم قد ضلل الناس من إمام وقس !
كلما أسأل الحياة عن الحـ ـق ، تكف الحياة عن كل همس
لم أجد في الحياة نغماً بديعاً يستبيني سوى سكينة نفسي
فسئمت الحياة ، إلا غراراً تتلاشى به الأناشيد يأسي

حجبت شقوة الدهور على حبـ ـي شعاع الرجاء من قبل رمسي
ناولتني الحياة كأساً دهاقاً بالأماني ، فما تناولت كأسي
وسقتني من التعاسة أكوا باً تجرعتها ، فيا شد تعسي !
إن في روضة الحياة لأشوا كاً ، بها مزقت زنابق نفسي

ضاع أمسي ! وأين مني أمسي ! وقضى الدهر أن أعيش بيأسي !

وقضى القلب في سكون مريع ساعة الموت ، بين سخط و بؤس
لم تبق لي من الحياة من الأمـ ـس سوى لوعة تهب وترسي !
تتهادى ما بين عصات قلبي سكون ، و بين اوجاع نفسي
كخيال من عالم الموت ينسا ب بصمت ، ما بين رمس ورمس

*
* *

تلك اوجاع مهجة عذبتها في جحيم الحياة اطياف نحس
تلك احلام عور روح كئيب كره العيش من نعيم و بؤس

# اغنية الأحزان

حطمت كف الاسى قيثارتي

في يد الاحلام

وقضت صمتاً أناشيد الغرام

بين ازهار الخريف الذاويه

وتلاشت في سكون الاكتئاب

كصدى العريد

* *

كف عن تلك الاغاني الناعمه

ايها العصفور

وحياتي الصمت لحن الأسى

من زمان قد تقضى ، وعسى

ان يثير الشدو ، في صمت الفؤاد

ا ة لأوتار

لا تصبي اغاريد الصباح

للمل الافراح!

ففؤادي وهو معمور الجراح

بتباريح الحياة الباكيه

ليس تستهويه ألحان السرور

واغاني النور

**

إن من اصغى الى صوت المنون،

وصدى الاحداث،

ليس تستهويه ألحان الطيور،

بين ازهار الربيع الساحرة،

وابتسامات الحياة السافرة

عن جلال الله!

**

غني يا طير! أنات الجحيم،

واسقني الآلام

وترع الكأس، دموع الحياة،

واسقني، اني كرهت الابتسام،

غني، ندب الاماني، الحالمة،

والليالي السود،

عني، صوت الظلام، المكتئب،

ابي اهواه ،

هاك كأس القلب، فاترعه بواح،

واسكب الحزن به، حتى الصباح،

إنه من طينة الحزن المرير

صاغه الخلاق

* *

بئست الافراح . افراح الحياة

إنها أحلام

تجلب اللب بالحان عذاب

واعاريد كأملاك السما

ثم لا تلبث أن تذوي كما

تذبل الازهار

# نظرة في الحياة

إن الحياة صراع فيها الضعيف يداس
ما فاز في ماضغيها إلا شديد المراس
نحب فيها شجون فكن فتى الاحتراس
الكون كون شقاء الكون كون التباس
الكون كون اختلاق وصحة واختلاس
سيان عندي فيه السرور : والابتئاس

* * *

[illegible] الموت [illegible] [illegible] فيه مزايا
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] البلايا
والعيش [illegible] [illegible] [illegible] سوى حقير الرزايا
[illegible] حياة [illegible] سيقضي بالمنايا
[illegible] [illegible] فيه إلا [illegible] والخطايا
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بقايا

إن السكينة روح في الليل ليست ظلام
والروح شعلة نور من فوق كل ظلام
لا تنطفي برياح ال إرهاق أو بالحسام
بل قد يعج لظاها سيلاً، ويطغى الضرام
كل البلايا جميعاً تفنى ويحيا السلام!
والذل سبة عار لا يرتضيه الكرام!

* * *

الفجر يسطع بعد ال دجى، ويأتي الصباح
ويرقد الليل قسراً على مهاد الصباح
وللشعوب حياة حيناً وطوراً فناء
اليأس موت ولكن يثير الشقاء
والجد للشعب روح توحي إليه الهناء
فإن تولت تصدت حياته للبلاء

# مأتم القلب

ليت شعري !

أي طير

يسمع الأحزان تبكي بين أحشاء الكئيب

ثم لا يتلو على الفجر أغاريد النحيب

بخشوع واكتئاب ؟

●

لست أدري

أي قمر

أخرس الغريد عني ؟ أترى مات الشعور

في جميع الكون حتى في حشاشات الطيور

أم بكى خلف السحاب؟

●

في الدياجي

كم أناجي

مسمع القمر بغصّات نحيبي وشجوني

ثم اصحو ، علّي اسمع ترديد آنيني
فأرى صوتي فريد

●

فأنادي
يا فؤادي !
مات من تهوى وهذا اللحد قد ضم الحبيب
فابك يا قلب ! فما فيك من الحب الكئيب
أنك يا قلب ! وحيد

●

مات حبّي
مات قلبي
فاذرفي يا مقلة الليل الدراري عبرات
فوق قلبي ، فهو قد ودع افراح الحياة
بعد ان ذاق اللهيب

●

واندبيه ،
واغسليه ،
بدموع الفجر من أكواب زهر الزنبق
وادفنيه خلال في صفاف الشفق
يرى روح حبيب

# الأمَلُ والقُنُوط

ضعف العزيمة لحدٌ في سكينته
تقضي الحياة ، بناه اليأس والوجلُ

وفي العزيمة قوات مسخرةٌ
يخرُّ دون مداها الشامخ الجبلُ

والناس شخصان : ذا يسعى به قدمٌ
من القنوط ، وذا يسعى به الأملُ

هذا الى الموت ، والأجداث ساخرة
وذا إلى المجد ، والآمال تتصلُ

ما كلّ فعلٍ يجلّ الناس فاعله
مجداً، ولا كلّ من خاض الدجى بطلُ

المجد صنفان صنفٌ في تمايله
نحو الخلود ، وصنفٌ فوقه الحللُ

ما المجد إلا ابتسامات يفيض بها
فمُ الزمان إذا ما انسدّت الحيلُ

وليس بالمجد ما تشقى الحياة به
ويحسد اليوم أمس ضمّه الأزلُ

# شكوى اليتيم

على ساحل البحر، أين يضج صراخ الصباح، ونوح المسا
تنهدتُ من مهجةٍ أترعتْ بدمع الشقاء، وشوك الأسى
فضاع التنهد في الصيحة
بما في ثناياه من لوعة
فسرت وناديت يا أمُّ! هيا
اليّ! فقد سئمتني الحياة

•

وجئتُ الى الغاب، أسكب أوجاع قلبي، نحيباً كلفح اللهيب
نحيباً ترقرق في مهجتي وسال يرنّ بسدّ القلوب
فلم يفهم الغاب أشجانه
وظل يردد ألحانه
فسرتُ، وناديت يا أمّ هيا
اليّ! فقد عدتني الحياة

وقفت على النهر أهرق دمعاً     تفجر من فيض حزني الأليم
يسير بصمت ، على وحشتي     ويلمع مثل دموع الجحيم

فما جف النهر من عدوه
ولا سكت النهر عن شدوه
فسرت ، وناديت يا ام هيا
الي ! فقد اصحرتني الحياة

●

ونـ ـاديت ، ولم يسمع     وناديت أمي « فلم تسمع »
رجعت بحزني الى وحدتي     ورددت نوحي على مسمعي

وعانقت في وحدتي لوعتي
وقلت لنفسي . ألا فاسكتي !

# أيها الليل

أيُّها الليل ! يا أبا البؤس والهو ... ل ! ويا هيكل الزمان الرهيب !
فيك تجثو عرائسُ الأمل العذ ... ب، تصلّي بصوتها المحبوب
فيثير النشيد ذكرى حياةٍ ... حجبتها غيومُ دهرٍ كئيب
وترفُّ الشجون من حول قلبي ... بسكونٍ وهيبةٍ وقطوب
أنت يا ليل ! ذرة صعدت للـ ... كون من موطئ الجحيم الغضوب
أيُّها الليل، أنت نغمٌ شجيٌّ ... في شفاه الدهور، بين النحيب
إن أنشودة السكون التي ترْ ... تجُّ في صوتك المكدود الرحيب
تسمع النفس في هدوء الأماني ... رنة الحق، والجمال الخلوب
فتصوغ القلوب منها أغاريـ ... ـد تهزُّ الحياة هزّ الخطوب
تتلوّى الحياة من ألم البؤ ... س، وتبكي بلوعةٍ ونحيب
وعلى مسمعيك تنهل نوحاً ... وعويلاً مُرّاً شجون القلوب
فأرى رقعاً شعوفاً من الأو ... جاع، يبقي عليك شجو الكروب
وأرى في السكون أجنحة الأقـ ... ـدار، مخضوبةً بدمعٍ صبيب

فلك الله ! من فؤادٍ رحيمٍ ولك الله من فؤادٍ كئيبِ
يهجع الكون في طمأنينة العصفور ، طفلاً بصدرك الغريب
وبأحلامك الخفوقة يستيقظ في نضرة الضحوك الطروب
شادياً كالطيور بالأمل العذب ، جميلاً كبهجة الشؤبوب
يا ظلام الحياة ! يا روعة الحزن ! ويا معزف التّعيس الغريب !
إنّ في قلبك الكئيب لمرتاداً لأحلام كلّ قلبٍ كئيب
وبقيثارة السكينة في كفيّك تنهلّ رنّةُ المكروب
فيك تنمو زنابق الحلمُ العذب ، وتذوي لدى لهيب الخطوب
خلف أعماقك الكئيبة تنساب ظلالُ الدهور ذات القطوب
وبواديك في صحارئك السود تدبُّ الأيام أيّ دبيب

* * *

صاح ! إنّ الحياة أنشودة الحزن ، فرتّلْ على الحياة نحيبي
إنّ كأس الحياة مترعة بالدّمع ، فاسكبْ على الحياة صبيبي
إنّ وادي الظلام يطفح بالهول ، فما أبعد ابتسام القلوب !
لا يغرنّك ابتسام بني الأرض ، فخلف الشعاع لذع اللهيب
أنت تدري أنّ الحياة قطوبٌ وخطوبٌ ، فما حياةُ القطوب؟
إنّ في غيبة الدهور ، دموعاً ، لخطيبٍ يمرُّ إثر خطيب

* * *

سدّدتْ في سكينة الكون للأعماق نفسي لحظاً بعيد الرسوب

بطرة مزقتْ شغاف الليالي ورأتْ مهجة الظلام الهيوب.
ورأتْ في صميمها لوعة الحزن ، واصغت الى صراخ القلوب
لا تحاولْ أن تسكر الشحو إني قد سبرت الحياة سبر اديب
فتبرمت بالسكينة ، والضجة ، بل قد كرهت فيها نصيبي ...
كن كما شاءت السماء. كئيباً أي شيء يسر نفس الأديب!
أنفوس تموت ، شاخصة بالهول ، في ظلمة القنوط العصيب ؟
أم قلوبٌ محطمات على ساحل لج الأسى ، تموج الخطوب؟
إنما الناس في الحياة طيور قد رماها القضا بواد رهيب
يعصف الهول في حواشيه السود ، ويقضي على صدى العندليب

* * *

قد سألتُ الحياة عن نغمة الفجر ، وعن وجمة المساء القطوب
فسمعتُ الحياة في هيكل الأحزان تشدو بلحنها المحبوب
ما سكوت المساء إلا أنينٌ ونشيد الصباح غير نحيب
ليس في الدهر طائر يتغنّى في ضفاف الحياة غير كئيب
حضن الاكتئاب أجنحة الأيام بالدمع ، والدم المسكوب
وعجيبٌ أن يفرح الناس في كهف الليالي ، بحزنها المشبوب!

***

كنتُ أرنو الى الحياة بلحظٍ باسم ، والرجاء دون لغوب
ذاك عهدٌ حسبته بسمة الفجر ، ولكنه شعاع الغروب

ذاك عهد ، كأنه ربة الافراح ، تنساب من فم العندليب
حققت ريثما أصبحت لها بالقلب حيناً ، وبدلت تنحيب
ان حمر الحياة وردية اللون ، ولكنها سموم القلوب

***

حرفتْ من قرارة القلب احلامي الى اللحد ، حائرات الخطوبُ
فتلاشت على تخوم الليالي وتهاوت الى الجحيم الغضوب
وثوى في دجمة النفس ومضٌ لم يزل بين خيئةٍ ودهوب
ذكريات تميس في ظلمة القلب ، صئالا كرائعات المثيب

***

يا قلب تجرع اللوعة المرة من جدول الزمان الرهيب !
ومضت في صميمه شعلة الحزن ، فعشته من شعاع اللهيب

# الملل الأليم

سئمت الحياة وما في الحياة ... ولما تجاوزت فجر الشباب
سئمت الليالي وأوجاعها ... وما شعشعت من رحيق بصاب
وحطمت كأسي ، وألقيتها ... بوادي الأسى ، وجحيم العذاب
فأنّت وقد غمرتها الدموع ... وقرّت وقد فاض منها الحباب
وألقى عليها الأسى ثوبه ... وأقبرها الصمتُ والاكتئاب
فأين الأماني وألحانها ؟ ... وأين الكؤوس ، وأين الشراب ؟
لقد سحقتها أكف الظلام ... وقد رشفتها شفاه السراب
فما العيش في حومةٍ بأسها ... شديد . وصداحها لا يجاب !
كئيب ، وحيد بآلامه ... وأحلامه ، شدوه الانتحاب
ذوت في الربيع أزاهيرها ... فمتن وأحلامهن العذاب
لوين المحور على دلة ... وغنّى ، وقد مصهن التراب
فجال الجمال ، وغاض العبير ... وأودى الردى حمى تحت الكعاب

# أيها الحب

أيها الحب أنت سر بلائي   وهمومي ، وروعتي ، وعنائي
ونحولي، وأدمعي ، وعذابي   وسقامي ، ولوعتي ، وشقائي

*

أيها الحب أنت سر وجودي   وحياتي ، وعزتي ، وإبائي
وشعاعي ما بين ديجور دهري   وأليفي ، وقرتي ، ورجائي

*

يا سلاف الفؤاد يا سم نفسي   في حياتي، يا شدتي، يا رخائي
ألهيبٌ يثورُ في روضة النفس فيطغى ؟   أم أنت نور السماء ؟

*

أيها الحب قد جرعتُ بك الحز   ن كؤوساً وما اقتنصتُ ابتغائي
فبحق الجمال يا أيها الحـ   ـب حنانيك بي وهوّن بلائي

*

ليت شعري يا أيها الحب قل لي   من ظلام خلقت أم من ضياء؟
أترى أنت نقمة من جحيم ؟   لست أدري، أم أنت كالكهرباء

# حيرة

أرى هيكل الأيام يعلو مشيداً
ولا بد أن يأتي على رأسه الهدم

فيصبح ما قد شيد الله للورى
خراباً كأن الكل في أمسه وهم

فقل لي ما جدوى الحياة وكرها
وتلك التي تذوي وتلك التي تنمو ؟

وفوج تغذيه الحياة لبانها
وفوج غدا تحت التراب له ردم ؟

وعقل من الأضواء في رأس نابغ
وعقل من الظلماء يحميه فدم ؟!

وأفئدة حسرى تذوب كآبة
وأفئدة سكرى يرف بها النعم ؟

* * *

نفوس ورى شاء الإله وجودهم
فكل لهم حتف وكل له فهم

# جدول الحبّ

## « بين الامس واليوم »

بالأمس قد كانت حياتي كالسماء الباسمه
واليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمه

●

قد كان لي ما بين أحلامي الجميلة جدول
يجري به ماء المحبة طاهراً يتسلسل

●

تسعى به الامواج باسمة كأحلام الصبا
بيضاء ، ناصعة ، ضحوكاً مثل ازهار الربى

●

مياسة كعرائس الفردوس بين حقوله
تتلو اناشيد الهوى في مده وقفوله

●

هو جدول الحب الذي قد كان في قلبي الخضلْ
تتراقص الأحلام ـ مطلقاً ـ يسير على رِمهل

●

يتلو على سمعي أعاريد الحياة الطاهره
ويثير في قلبي اناشيد الخلود الساحره

•

تقف المدارى الخالدات... عرائس الشعر البديع
في صفتيه ، مرددات نعمة الحلم البديع

•

يلمس من قيثارة الاحلام أوتار الغزل
فتفيض الحان الصبابة عذبة مثل الأمل

•

وتطير بالنسمات والانغام اجنحة الصدى
في ذلك الافق الجميل وذلك السمر الرحب

•

وهناك حيث تعانق النسمات ألحان الغزل
يتمايل الحلم الجميل .. كنسمة القدس الثمل

•

هو جدول ، قد فجرت ينبوعه في مهجتي
احلام واثنة أرتبها الحبيبة شفوتي

•

احلام واثبة تراءت لي على فجر الشباب
كعروسة من غابات الشعر في شفق السحاب

•

ثم احتجبت خلف السماء وراء هاتيك الغيوم
حيث العذارى الخالدات يمسن ما بين النجوم

●

ثم احتجبت ، أواه ! طائرة بأجنحة المنون
نحو السماء ، وها أنا في الارض تمثال الشجون !

●

قد كان ذلك كله بالأمس ! بالامس البعيد
وبالامس قد حرقته مقهوراً يد الموت العتيد !!

●

قد كان ذلك تحت ظل الامس والماضي الجميل
قد كان ذلك في شعاع البدر من قبل الأفول

●

واليوم اذ زالت ظلال الامس عن زهري البديع
وتحلس الزهر الجميل بظلمة الليل المريع

●

ذبلت مرتشفه ، فأصبح ذاوياً ، نضو الكلوم
وهوى لأن الليل تسمعه اناشيد الوجوم

●

بالأمس قد كانت حياتي كالسماء الباسمه
واليوم قد امست كأعماق الكهوف الواجمه

●

إذ اصبح السع الجميل يسير في وادي الألم
متعثراً بين الصخور يعور في تلك الظلم

•

حدت به امواج ديالك العرام الأول
وتدفقت فيه الدموع مصوبها المتهاطل

•

قد حجبته عيوم احزان الوجود القاتمه
قد أحرسته مرارة القلب التعيس الطالمه

•

جمدت على شفتيه انعام الصبابة والهوى
وقصت اغاني الحب في اعماقه مذ هوى

•

وعدت به الامواج جمدة الملامح قاتمه
قد اسكتتها لوعة الروح الحزين الواجمه

•

غاصت أمانيها وغار بها الجمال الساحر
واصابها ـ هماً عليه ـ الاكتئاب الكافر

•

في صمتيه عرائس الاشعار تمصب مدمعاً
يعرقن فيه الدمع ، حتى يلطم بمسمع الدما

•

فيسيل المدمع الدامي لقلب الجدول
حيث المرارة والاسى بين الزهور الدبل

●

ويحس حتى يفعم الآفاق صوت الانتحاب
فتسير أصداء المياحة نحو أطباق الضباب

●

وهناك ما بين الضباب الأقتم الساحي الكئيب
تهتز آلامي وتختلج الكآبة ، والنحيب

# انشودة الرعد

في سكون الليل لما عانق الليل الخشوع
واختفى صوت الأماني خلف آفاق الهجوع

رتل الرعد نشيداً رددته الكائنات
مثل صوت الحق ان صا ح بأعماق الحياة

يتهادى بصحيح في حلايا الاودية
مثل جبار من الخل ـد أقصى الهاوية

وملأت الليل والليـ ل كئيب ورهيب
شاخصاً بالليل والليـ ل جميل وغريب

أترى انشودة الرعـ ـد أنين وحنين
رنمتها بخشوع مهجة الكون الحزين؟

أم هي القوة تسعى باعتساف واصطخاب
يتراءى في ثنايا صوتها روح العذاب؟

غير أن الليل قد طـ ـال ركوداً جامداً
صامتاً مثل غدير الـ ـقفر من دون صدى

# يا شعر

يا شعر! أنت فم الشعور وصرخة الروح الكئيب
يا شعر! أنت صدى نحيب القلب، والصب الغريب
يا شعر ! أنت مدامع علقت بأهداب الحياة
يا شعر! أنت دمٌ تفجّر من كلوم الكائنات

يا شعر ! قلبي ـ مثلما تدري ـ شقيٌّ مظلمُ
فيه الجراح النجل ، يقطر من معاورها الدَّمُ
جمدت على شفتيه أرزاء الحياة العابسه
فهو التعيس ، به مرارات القلوب اليائسه
أبداً ينوح بحرقة بين الاماني الهاويه
كالبلبل الغريد ما بين الزهور الذاويه
كم قد نصحت له بأن يسلو ، وكم عزيته
فأبى ، وما أصغى الى قولي ، فما أحديته
كم قلت : صبراً يا فؤاد ، أما تكف عن النحيب ؟
فاذا تحاملت الحياة ، تبددت شعل اللهيب

يا قلب ! لا تجزع أمام تصلب الدهر الحصور
فاذا صرخت توجعاً هزئت بصرختك الدهور
يا قلب ! لا تسخط على الأيام ، فالزهر البديع
يصغي لضحكات العواصف قبل أنغام الربيع
يا قلب ! لا تقنع بشوك اليأس ، من بين الزهور
فوراء أوجاع الحياة عذوبة الأمل الجسور
يا قلب ! لا تسكب دموعك بالفضاء فتندم
فعلى ابتسامات الفضاء قساوة لا ترحم

* * *

لكن قلبي ، وهو مخضل الجوانب بالدموع
جاشت به الاحزان إذ طفحت بها تلك الصدوع
يبكي على الحلم البعيد بلوعة لا تنجلي
عرداً ، كصداح الهواتف في الفلا ، ويقول لي :
طهر كلومك بالدموع ، وخلّها وسبيلها
إن المدامع لا تضيع ، حقيرها وجليلها
فمن المدامع ما تدفع حارقاً حسك الحياة
يرمي بهاوية الوجود بكل أشواك الطغاة

* * *

فارحم مصاصته وبح معه على أحلامه
فلقد قضى الحلم البديع على لظى آلامه
ردّد على سمع الدجى أنات قلبي الواهيه
واسكب بأجفان الزهور دموع قلبي الداميه
فلعل قلب الليل أشفق بالقلوب الباكية !
ولعل جفن الزهر أحفظ للدموع الجارية !
كم حركت كف الاسى اوتار دنياك الحزين
وتهاملت أحزان قلبي في أعاريد الانين
ولكم أرقت مدامعي حتى تقرحت الجفون
ثم التفت فلم أجد قلباً يقاسمني الشجون
فعسى يكون الليل ارحم ، فهو مثلي يندب
وعسى يصون الزهر دمعي ، فهو مثلي يسكب !

* * *

قد قمعت كف السماء الموت بالصمت الرهيب
فغدا كأعماق الكهوف ، بلا ضجيج أو وجيب
يأتي بأجنحة السكون كأنه الليل البهيم
لكن طيف الموت قس ، والدجى طيف رحيم
ما للمنية لا ترق على الحياة النائحة ؟!
سيان افئدة تئن . أو القلوب الصادحه

يا شعر هل خلق الموت بلا شعور كالجماد ؟
لا رعشة تعرو يديه إذا تملّقه الفؤاد ؟

* * *

أرأيت ازهار الربيع وقد ذوت أوراقها
فهوت الى صدر التراب ، وقد قصت أشواقها ؟
أرأيت شحرور الفلا مترعاً بين الغصون
خمد النشيد بصدره لما رأى طيف المنون ؟
فقضى وقد غاصت أغاريد الحياة الطاهرة
وهوى من الاغصان ، ما بين الزهور الماسرة
أرأيت أمّ الطفل تبكي ذلك الطفل الوحيد
مذ تناوله بعنف ساعد الموت الشديد ؟
أسمعت نوح العاشق الولهان ما بين القبور
يبكي حبيبته ؟ فيا لمصارع الموت الحسور !

* * *

طمحت بأعماق الوجود سكينة الصمر الخليد
مذ رأى عدل الحياة يضمه اللحد الكنود
فتدفقت لحناً ، يردده على سمع الدهور
صوت الحياة بصيحة تسعى على شفة الصحور

يا شعر؟ أنت نشيد امواج الخضم الساحرة
الناصعات الباسمات ، الراقصات ، الطاهرة
السافرات ، الصادحات مع الحياة الى الابد ؟
كعرائس الأمل الضحوك يمسن ما طال الامد

***

ها أن أزهار الربيع نسمت أكمامها
ترنو الى الشفق البعيد ، تعزها أحلامها
في صدرها أملٌ يحدق نحو هاتيك النجوم
لكنه أمل ستلحده حسارة الوجوم
فلسوف تغمض حسنها عن كل أضواء الحياة
حيث الظلام مخيم في جو ذياك السبات
ها أنها همست نادان الحياة عريدها
فتلت عصافير الصباح صداحها ونشيدها
يا شعر ! انت نشيد هاتيك الزهور المسمه
يا ليتني مثل الزهور ، بلا حياة واسمه

***

ان الحياة كئيبة . مغمورة بدموعها .
والشمس أضجرها الأسى . في صحوها وهجوعها

فتجرعت كأساً دهاقاً من مشعشعة الشفق

فتمايلت سكرى ، الى كهف الحياة .. ولم تفق

يا شعر : انت نحيبها لما هوت لسباتها

يا شعر ! انت صداحها ، في موتها ، وحياتها

***

انظر الى شفق السماء ، يفيض عن تلك الجمال

شعاعه الخلاب يغمرها بسيات الجمال

فيثير في النفس الكئيبة عاصفاً لا يركد

ويؤجج القلب المعذب شعلة لا تخمد

***

يا شعر ! أنت جمال اضواء الغروب الساحرة

يا همس امواج المساء الناعمات الحائرة

***

يا شعر ! يا قيثارة الاحلام ! يا انس صبابتي !

لولاك مت بلوعتي ، وشقوتي ، وكآبتي

فيك انطوت نفسي ، وفيك سكنت كل مشاعري

فاصدح على قمم الحياة ، بلوعتي ، يا طائري

# القسم الثانى

## ( ما بعد العشرين )

# مُنَاجَاة

أنت يا شعر فلذة من فؤادي          تتغنى . وقطعة من وجودي !
فيك ما في جوانحي من حنين          أبديّ الى صميم الوجود
فيك ما في خواطري من بكاء          فيك ما في عواطفي من نشيد
فيك ما في مشاعري من وجوم          لا يغني .. ومن سرور عهيد
فيك ما في عوالمي من ظلام          سرمدي ، ومن صباح وليد
فيك ما في عوالمي من نجوم          ضاحكات خلف الغمام الشرود
فيك ما في عوالمي من ضباب          وسراب ، ويقظة ، وهجود
فيك ما في طفولتي من سلام          وقنوع ، وغبطة ، وسعود
فيك ما في شبيبتي من أماني          باسمات ، ومن غرام سعيد
فيك ما في شبيبتي من قنوط          مدلهم ، وحيرة ، وجمود
فيك تشدو مع الربيع طيوري          وتغني مع الصباح ورودي
فيك ألقي بذور نفسي فتنمو          في ثناياك حيث شع برود
فيك أجني في الصيف ما بذرت نفسي حواليك من بذور الجهود
فيك أرعى من الخريف أعاصيري ، وتذوي صواعقي ورعودي

فيك تذوي زهور قلبي فتلقى ما لها من غدائر ؛ وورود

فيك يبدو شتاء نفسي عبوساً شاحب اللون عاري الاملود

كللته الحياة بالحزن الدامي وغشته بالرياح السود

***

انت يا شعر صفحة من حياتي انت يا شعر قصة من وجودي

انت يا شعر - إن فرحت - أعاريدي ، وان رنت الكآبة عودي

انت يا شعر كأس خمر جميل أتلهى بها خلال اللحود

أحتساه في الصباح لأنسى ما تقضّى في أمسيَ المفقود

وأناجيه في المساء لألهو بحمياه عن ظلام الوجود

انا لولاك لم أطق نقمة الدهر ؛ ولا رقة الصباح السعيد

انت ما نلتُ من كهوف الليالي وتصفحت من كتاب الخلود

فيك ما في حقيبة الكون من عقد حصى رائع ودر نضيد

فيك ما في الوجود من حلك داج ، وما فيه من ضياء بعيد

فيك ما في الوجود من نغم حلو وما فيه من زئير الاسود

فيك ما في الوجود من جمل وعر ؛ وما فيه من حضيض وهيد

فيك ما في الوجود من حسك يدمي ، وما فيه من عصيص الورود

فيك ما في الوجود من زهر حلو وما فيه من هشيم حصيد

فيك ما في الوجود من وهج الصيف وما فيه من شتاء عتيد

فيك ما فيه من خريف حزين فيك ما فيه من ربيع جديد

فيك ما في الوجود حبب بنو الدنيا قصيدي ؟ أم لم يحبوا قصيدي !

فسواء على الطيور اذا غنت هتاف الشؤوم والمستعيد

وسواء على النجوم اذا لا حت هدوء الدحى وقصف الورود

وسواء على الورود أي النيران فاحت أم بين نهد وحيد !

# الايمان بالحياة

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي　　ومشاعري عمياء بالأحزان
أني سأظمأ للحياة ، وأحتسي　　من كأسها المتوهج النشوان
وأعود للدنيا بقلب خافق　　للحب والأفراح والألحان
ولكل ما في الكون من صور المنى　　وغرائب الأهواء والأشجان
حتى تحركت السنون وأقبلت　　فتن الحياة بسحرها الفنان
فإذا أنا طفل الحياة المنتشي　　شوقاً الى الاضواء والألوان
وإذا التشاؤم بالحياة ورفضها　　ضرب من البهتان والهذيان
إن ابن آدم في قرارة نفسه　　عبد الحياة الصادق الايمان

# الجمال المنشود

يا عذارى الجمال والحب والأحـ   ـلام، بل يا بهاء هذا الوجود
قد رأينا الشعور مسدلات   كللت حسنها صباحُ الورود!
ورأينا الخدود ضرجها السحـ   ـر! وآهاً من سحر تلك الخدود
ورأينا الشفاه تبسم عن در   يا من الورد عصبة أملود!
ورأينا العيون تبسم او تحلـ   ـم سكرى بالشدو والتغريد
ورأينا النهود تهتز كالأز   هر في نشوة الشباب السعيد
توقظ الوجد في القلوب ولكن   ليت شعري ماذا وراء النهود؟!
ما الذي خلف هذه الفتنة العز   راء في ذلك القرار البعيد؟
أنفوس جميلة كطيور الغا   ب تشدو بشترق النشيد
طاهرات كأنها أرج الأزها   ر في مولد الربيع الجديد!
وقلوب وضيئة كنجوم الليـ   ـل صواعة كبعض الورود!
أم ظلام كأنه قطع الليـ   ـل وهول يشيب رأس الوليد
وجحيم يموج بالآثم والمنكـ   ـر والشر والضلال المديد

صامكن الأله من طلمة الروح ومن صلة الضمير العميد
فظلام النفوس شر ظلام سرمدي الاسى شنيع الخلود
يروح القلب فيه بالالم المر ويشقى بعيشه المنكود
ورواء الشباب يذبل كالأو راق في ثورة الخريف العتيد
غير باق في الكون الا جمال الرو ح عصياً على الزمان الأبيد

# يا ابن امي

خلقت طليقاً كطيف النسيم    وحراً كنور الضحى في سماه

تغرد كالطير أين اندفعت    وتشدو بما شاء وحي الاله

وتمرح بين ورود الصباح    وتنعم بالنور أنى تراه

وتمشي كما شئت بين المروج    وتقطف ورد الربى في رباه

كذا صاغك الله يا ابن الوجود    وألقتك في الكون هذي الحياه

فما لك ترضى بذل القيود    وتحني لمن كبلوك الجباه

وتسكت في النفس صوت الحياة الـ    ـقوي إذا ما تغنى صداه

وتطبق أجفانك النيرات    عن الفجر والفجر عذب ضياه

وتقنع بالعيش بين الكهوف    فأين النشيد وأين الإباه

أتخشى نشيد السماء الجميل؟    أترهب نور الفضا في ضحاه

ألا انهض وسر في سبيل الحياة    فمن نام لم تنتظره الحياه

ولا تخشى مما وراء القلاع فما ثم الا الضحى في صباه
والا ربيع الوجود العزيز يطرز بالورد ضافي رواه!
والا اريج زهور الصباح ورف الاشعة بين المياه!!
والا حمام المروج الانيق يغرد مندفعاً في غناه!
الى النور فالنور عذب جميل الى النور فالنور ظل الاله!

# الى طغاة العالم

ألا أيها الظالم المستبد    حبيب الظلام عدو الحياه
سخرتَ بأنات شعب ضعيفٍ    وكفك مخضوبة من دماه
وعشت تدنس سحر الوجود    وتبذر شوك الأسى في رباه

**

رويدك لا يخدعنك الربيع    وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الافق الرحب هول الظلام    وقصف الرعود وعصف الرياح
ولا تهزأن بنوح الضعيف    فمن يبذر الشوك يجن الجراح !

**

تأمل هنالك أنى حصدتَ    رؤوس الورى وزهور الأمل
وروّيت بالدم قلب التراب    وأشربته الدمع حتى ثمل
سيجرفك السيل سيل الدما    ويأكلك العاصف المشتعل !

# إرادة الحياة

إذا الشعب يوماً أراد الحياة    فلا بد أن يستجيب القدرْ !!
ولا بد لليل أن ينجلي    ولا بد للقيد أن ينكسر !!
ومن لم يعانقه شوق الحياة    تبخر في جوها واندثر
كذلك قالت لي الكائنات    وحدثني روحها المستتر

* * *

ودمدمت الريح بين الفجاج    وفوق الجبال وتحت الشجر :
« إذا ما طمحت الى غاية    لبست المنى وخلعت الحذر !
ولم أتجنب وعور الشعاب    ولا كبة اللهب المستعر
ومن لا يحب صعود الجبال    يعش ابد الدهر بين الحفر » !
فعجت بقلبي دماء الشباب    وضجت بصدري رياح أخر
وأطرقت أصغي لعزف الرياح    وقصف الرعود ، ووقع المطر
وقالت لي الارض لما تساءلت يا ام هل تكرهين البشر ؟ !:
« أبارك في الناس أهل الطموح    ومن يستلذ ركوب الخطر !

وألعن من لا يماشي الزمان ... ويقنع بالعيش عيش الحجر!

هو الكون حي يحب الحياة ... ويحتقر الميت المندثر!

فلا الأفق يحضن ميت الطيور ... ولا النحل يلثم ميت الزهر!

ولولا أمومة قلبي الرؤوم ... لفرت عن الميت تلك الحفر!

فويل لمن تشوّقه الحيا ... ة من لعنة العدم المنتصر»!

***

وفي ليلة من ليالي الخريف ... مثقلة بالأسى والضجر

سكرت بها من ضياء النجوم ... وغنيت للحزن حتى سكر!!

سألت الدجى هل تعيد الحياة ... لما أذبلته ربيع العمر؟

فلم يتكلم فؤاد الظلام ... ولم تترنم عذارى السحر

وقال لي الغاب في رقة ... محببة مثل خفق الوتر

«يجيء الشتاء شتاء الضباب ... شتاء الثلوج شتاء المطر

فينطفئ السحر، سحر الغصون ... وسحر الثمر، وسحر الزهر

وسحر السماء القوي البديع ... وسحر المروج الشهي العطر

وتهوي الغصون وأوراقها ... وأزهار عهد جميل نضر

وتلهو بها الريح في كل واد ... ويدفنها السيل أنى عبر

ويفنى الجميع كحلم بديع ... تألق في مهجة واندثر

وتبقى البذور التي حملت ... ذخيرة عمر جميل غبر

وذكرى فصول، ورؤيا غيوم ... وأشباح دنيا تلاشت زمر

معانقة وهي تحت الثلوج وتحت الضباب وتحت المدر
لطيف الحياة الذي لا يُمل وقلب الربيع الجميل العطر
وحالمة بأغاني الطيور وعطر الزهور ، وطعم الثمر
ويمشي الزمان ، فتنمو صروف وتذوي صروف ، وتحيا أخر
وتصبح احلامها يقظة موشحة برداء السحر
تسائل : أين ضباب الصباح وسحر المساء ، وضوء القمر
وأسراب ذاك الفراش الجميل ونحل يغني ، وغيم يمر ؟
ظمئت الى النور فوق الغصون ظمئت الى الظل تحت الشجر
ظمئت الى النبع بين المروج يغني ويرقص فوق الزهر
ظمئت الى الكون اين الوجود وأين أرى العالم المنتظر ؟!
هو الكون بين رحاب الفضاء وفي عالم اليقظات الكبر!
وما هو الا كخفق الجناح حتى نما شوقها وانتصر!
فصعّدت الارض من صدرها وانصرت النور عذب الصور!
وجاء الربيع بأطيافه واحلامه وصباه العطر
وقبلها قبلة في الشفاه تعيد الشباب الى ما غبر
وقال لها قد منحت الحياة وخلّدت في نسلك المدخر
ومن باحت النور احلامه يباركه النور اين ظهر!
اليك الفضاء ، اليك الضياء اليك الثرى الحالم المزدهر!
فميدي كما شئت فوق المروج بحلو الثمار ، وغض الزهر

وناجي النسيم وناجي الغيوم      وناجي النجوم ، وناجي القمر
ولا تسأمي نغمات الحيــاة      ولا فتنة العالم المعتمر »!!

***

وشفّ الدجى عن جمال عميق      قوي الغواية ، حلو الصور
ومُدّ على الكون سحر غريب      يصرفه ساحر مقتدر
وضاءت شموع نجوم السماء      وضاع البخور بخور الزهر
ورفرف روح غريب الجمال      بأجنحة من ضياء القمر
ورن نشيد الحياة المقدّ      س في هيكل حالم قد سحر
وأعلن في الكون ان الطموح      لهيب الحياة وروح الظفر !!
إذا طمحت للحياة النفوس      فلا بد ان يستجيب القدر !!

# صلوات في هيكل الحب

عذبة أنت كالطفولة كالأحلا　　　م كاللحن، كالصباح الجديد!

كالسماء الضحوك، كالليلة القمراء　　　كالورد، كابتسام الوليد!

يا لها من طهارة تبعث التقديـ　　　ـس، في مهجة الشقي العنيد!

يا لها رقة، تكاد يرف الور　　　د منها في الصخرة الجلمود!

أي شيء تراك؟ هل أنت فينيـ　　　ـس تهادت بين الورى من جديد؟

لتعيد الشباب والفرح المعسـ　　　ـول للعالم التعيس العميد!

أم ملاك الفردوس جاء إلى الأر　　　ض ليحيي روح السلام العهيد

أنت ما أنت؟ أنت رسم جميل　　　عبقري من فن هذا الوجود

فيك ما فيه من غموض وعمق　　　وجمال مقدس معبود!

أنت ما أنت؟ أنت فجر من السـ　　　ـحر تجلى لقلبي المعمود!

فأراه الحياة في مونق السحر　　　وجلى له خفايا الخلود!

أنت روح الربيع تختال في الدنـ　　　ـيا، فتهتز رائعات الورود

وتهب الحياة سكرى من العطر، ويدوي الوجود بالتغريد!

كلما أبصرتك عيناي تمشين بخطو، موقع، كالنشيد
خفق القلب للحياة ورف الزهر، في حقل عمري المجرود
وانتشت روحي الكئيبة بالحب وغنت كالبلبل الغريد!
أنت تحيين في فؤادي ما قد مات في أمسي السعيد الفقيد
وتشيدين في خرائب روحي ما تلاشى في عهدي المجدود
من طموح الى الجمال، الى الفن الى ذلك الصفاء العميد
وتبثين رقة الشوق والأحلام والشدو، والهوى في نشيدي!
بعد أن عانقت كآبة أيامي فؤادي وألجمت تغريدي
أنت أنشودة الأناشيد غناك إله الغناء رب القصيد!
فيك شب الشباب وشحه السحر، وشدو الهوى وعطر الورود
وتراءى الجمال يرقص رقصاً قدسياً على أغاني الوجود!
وتهادت في أفق روحك أوزان الأغاني، ورقة التغريد!
فتمايلت في الحياة كلحن عبقري الخيال، حلو النشيد!
خطوات سكرانة بالأناشيد وصوت كرجع ناي بعيد!
وقوام يكاد ينطق بالألحان في كل وقفة وقعود!
كل شيء موقع فيك حتى لفتة الجيد، واهتزاز النهود!
أنت أنت الحياة في قدسها السامي وفي سحرها الشجي الفريد!
أنت أنت الحياة في رقة الفجر وفي رونق الربيع الوليد!
أنت أنت الحياة كل أوان في رواء من الشباب جديد!

أنت دنيا من الأناشيد والأحلام ، والسحر ، والخيال المديد!
أنت فوق الخيال ، والشعر ، والفن ، وفوق النهى ، وفوق الحدود!
أنت قدسي ومعبدي وصباحي          وربيعي ، ونشوتي ، وخلودي!

. . .

يا ابنة النور إنني أنا وحدي          من رأى فيك روعة المعبود!
فدعيني أعيش في ظلك العذب          وفي قرب حسنك المشهود؟
عيشة للجمال والفن والإلهام          والطهر والسنى ، والسجود!
عيشة الناسك البتول يناجي الرب في نشوة الذهول الشديد!
وامنحيني السلام والفرح الروحي ، يا ضوء فجري المنشود!
وارحميني فقد تهدمت في كون من اليأس والظلام مشيد
أنقذيني من الأسى فلقد أمسيت لا أستطيع حمل وجودي
في شعاب الزمان والموت أمشي          تحت عبء الحياة جم القيود
وأماشي الورى ونفسي كالقبر ، وقلبي كالعالم المهدود!
ظلمة ما لها ختام ، وهول          شائع في سكونها الممدود
وإذا ما استخفني عبث الناس          تبسمت في أسى وجمود
بسمة مرة كأني أستل          من الشوك ذابلات الورود!
وانفخي في مشاعري مرح الدنيا          وشدي من عزمي المجهود
وابعثي في دمي الحرارة علّي          أتغنى مع المنى من جديد!
وأبث الوجود أنغام قلب          بلبلي مكبل بالحديد!

فالصباح الجميل ينعش بالدفء حياة المحطم المكدود!
أنقذيني فقد سئمت ظلامي انقذيني فقد مللت ركودي

* *
*

آه يا زهرتي الجميلة لو تدرين ما حدّ في فؤادي الوحيد!
في فؤادي الغريب تخلق أكوان من السحر ذات حسن فريد
وشموس وضاءة ونجوم تنثر النور في فضاء مديد
وربيع كأنه حلم الشاعر في سكرة الشباب السعيد
ورباة لا تعرف الحلك الداجي، ولا ثورة الخريف العتيد
وطيور سحرية تتناغى بأناشيد حلوة التغريد
وقصور كأنها الشفق المخضوب، او طلعة الصباح الوليد
وغيوم رقيقة تتهادى كأباديد من نثار الورود
وحياة شعرية هي عندي صورة من حياة أهل الخلود
كل هذا يشيده سحر عينيك والهام حسنك المعبود!
وحرام عليك ان تهدمي ما شاده الحسن في الفؤاد العميد
وحرام عليك ان تسحقي آمال نفس تصبو لعيش رغيد!
منك ترجو سعادة لم تجدها في حياة الورى وسحر الوجود!
فالاله العظيم لا يرجم العبد، اذا كان في جلال السجود!

# الساحرة

زاعها منه صمته ووجومه     وشجاها شحوبه وسهومه
فاطلت بوجهها الدسم الحلـ     ـو على خده سحر يهيمه
وامرت كفها على شعره الها     ري برفق كأنها ستنيمه
ثم قالت كأنها تعنى     ـسحي من الاغاني تلومه
ايها الطائر الكئيب تغرد     ان شدو الطيور حلو رحيمه
واحمي .. فذلك نفسي فداء !     امصاب ؟ ام ذاك أمر ترومه ؟
بل هو العمر والكآبة والغم     ان جم احزانه وهمومه
اذا يحمل الوجود ثم فيه     كأن ليس للوجود زعيمه
حل عنه الخيبة عشت وهيا     شحيا كالصبح طلق أديمه
فكثير عليك ان تحمل الدهـ     ـر وتمسي وقرها لا تريمه
والوجود العظيم قعد في الـ     ـحي فهات ربه فتقيمه
وامش في روضة الشباب طروبا     فحواليك ورده وكرومه
وان نحب وخيبة     لك وحل انتقاء تدمي كلومه

| | |
|---|---|
| واحتضني فأني اليك حتى | يعواري هذا الدجى وتجومه |
| ودع الحب ينشد الشعر لليل | فكم يسكر الظلام رنيمه |
| واقطف الورد من خدودي وجيـ | دي ونهودي وافعل بهما ترومه |
| ان للبيت لهوه الناعم الخا | و وللكون حزنه وهمومه |
| وارتشف من فمي الاناشيد سكر | ى فالهوى ساحر الدلال وسيمه |
| وانس ما في الحياة فالعمر قفر | مرعب اذ ذوى وجف نعيمه |
| والق لليل والصباب بعيداً | فتك الناس الكثير وجومه |
| والهوى والشباب والمرح المعـ | سول تندو أنفاسه ونسيمه |
| هي فن الحياة يا شاعري الفـ | ان بل لب فنها وصميمه |
| تلك يا فيلسوف فلسفة الكو | ن ووحي الوجود هذا قديمه |
| وهي الحيلة الجميل فصدقـ | ه والا فالحرام جحيمه |

* * *

| | |
|---|---|
| ورماها سطرة عشيتها | سكرة الحب والاسى وغيومه |
| وتلاها نسمة قطعتها | شمة عصة الشباب رؤومه |
| ما تريد الهموم من عالم صا | مت مسراته وعمت تحومه |

***



١١

ليلة أسبل الغرام عليها    سحره الناعم الطرير نعيمه
وتغنى في ظلها المرح اللا    هي محف الأسى وحر هشيمه
اغرق الفيلسوف فلسفة الاحـ    زان في خمرها، فمن ذا يلومه؟

***

ان في المرأة الجميلة سحراً    عبقرياً يدكي الاسى ترنيمه!

ونناجي روح الطبيعة في الكو ن ونصغي لقلبها المتغني

**

نحن مثل الربيع نمشي على أر ض من الزهر والرؤى والخيال

فوقها يرقص الغرام ويلهو ويغني في نشوة ودلال

**

نحن نحيا في جنة من جنان السحر في عالم بعيد ... بعيد

نحن في عيشنا المورد ، نتلو سور الحب للشباب السعيد !

**

قد تركنا الوجود للناس فينقضوا عليه الحياة كيف أرادوا

وذهبنا بلبه ، وهو روح وتركنا القشور . وهي جماد

**

قد سكرنا بحبنا واكتفينا طفح الكأس فاذهبوا يا سقاة

نحن نحيا فلا نريد مزيداً حسبنا ما منحتنا يا حياة

**

حسبنا زهرنا الندي يشذى حسبنا كأسنا التي نترشف

ان في ثغرنا رحيقاً سماوياً وفي قلبنا ربيعاً مفوف !

**

أيها الدهر أيها الزمن الجا ري الى غير وجهة وقرار

أيها الكون أيها الموت ندّ ره بالسحر والضحى والنهار

أيها الموت أيها القدر الأعمى! قفوا حيث أنتم، أو فسيروا
ودعونا هنا تغني لنا الأحلام والحب والوجود الكبير

**

وإذا ما أبيتم فاحملونا ولهيب الغرام في شفتينا
وزهور الحياة تعبق بالعطر وبالسحر والصبا في يدينا

# تحت الغصون

ها هنا في خمائل الغاب، تحت الزان     والسنديان والزيتون
أنت أشهى من الحياة وأبهى     من جمال الطبيعة الميمون
ما أرق الشباب في جسمك الغض     وفي جيدك البديع الثمين!
وأدق الجمال في طرفك الساهي     وفي ثغرك الجميل الحزين!
وألذ الحياة حين تغنين     فأصغي لصوتك المحزون
وأرى روحك الجميلة عطراً     ضائعاً في حلاوة التلحين!
قد تغنيت منذ حين بصوت     ناعم، حالم، شجي حنون
نغمٌ كالحياة عذبٌ عميقٌ     في حنان، ورقة، وحنين
فإذا السكون قطعة من نشيد     علوي، منغم، موزون
فلمن كنت تنشدين؟ فقالت     «للضياء» المسجّى الحزين
للضباب المورد المتلاشي     كخيالات حالم مفتون
للمساء المطل، للشفق الساجي     لسحر الأسى، وسحر السكون
للعبير الذي يرفرف في الأفق     ويفنى، مثل المنى في سكون
للأغاني التي يرددها راعي     بمزماره الصغير الأمين

للربيع الذي يؤجج في الدنيا حياة الهوى وروح الحنين
ويوشي الوجود بالسحر ، والاحلام والزهر ، والشذى واللحون
للحياة التي تغني حوالي على السهل ، والربى ، والحزون
لليانبيع ، للعصافير ، للظل ، لهذا الثرى ، لتلك الغصون
للنسيم الذي يضمخ احلامي بعطر الاقاح والليمون
للجمال الذي يفيض على الدنيا لاشواق قلبي المشحون
للزمان الذي يوشح ايامي بضوء المنى ، وظل الشجون
للشباب السكران ، للامل المعبود للبأس ، للاسى ، للمنون

* * *

فتنهدت ، ثم قلت : « وقلبي من يغنيه ؟ من يجيب شجوني » ؟
قالت : « الحب » ثم غنت لقلبي قبلاً عبقرية التلحين
قبلاً ، علمت فؤادي الاغاني واثارت له ظلام السنين
قبلاً ، ترقص السعادة والحب على لحنها العميق الرصين

***

وافقنا ، فقلت كالحالم المسحور : قولي ، تكلمي . حدثيني
اي دنيا مسحورة ؟ اي رؤيا طالعتني في ضوء هذي العيون ؟
زمر من ملائك العالم الاعلى يغنون في حنو حنون
وصبايا رواقص . يتراشقن بزهر التفاح والياسمين
في فضاء ، مورد ، حالم ، ساه اطافت به عذارى الفنون

وجحيم تؤجج تحت فراديس كأحلام شاعر مجنون !
اي خمر مؤجج ، ولهيب مسكر ؟ اي نشوة وحنون ؟
اي خمر رشفت ؟ بل اي نار؟ في شفاه ، بديعة التكوين
وردتها الحياة في لهب السحر ، ونور الهوى ، وظل الشجون
اي إثم مقدس قد لبسنا برده في مسائنا الميمون ؟
فبدى طيف بسمة ساحر ، عذب على ثغرها ، قوي الفتون
واحاديث . . . وكلها فتنة تغوي وتغري بالحب بل بالجنون :
ابداً انت حالم . فاسأل الليل فعند الظلام علم اليقين

***

وسكتنا وغرد الحب في الغاب واصغى حتى حفيف الغصون
وبنى الليل والربيع حواليا من السحر ، والرؤى ، والسكون
معبداً للجمال والحب ، شعريا مشيداً على فجاج السنين
تحته يزحر الزمان ويجري صامتاً في مصبه المحزون
وترى الآلام ، والحزن ، والموت بعيداً عن ظله المأمون
معبداً ساحراً ، يتوجه الزهر على الصخر ، والثرى ، والغصون
كل زهر يضوع منه اريج من بخور الربيع ، جم الفتون
ونجوم السماء فيه تموج اوقدتها للحب روح القرون
ومضت نسمة توسوس للغاب وتشدو في عمق ذاك السكون
وطغى السحر والغرام بقلبي فتوسلت ضارعاً . بحنوي .

طهري يا شقيقة الروح ثغري     بلهيب الحياة ، ل قبلي !
ان نار الحياة ، والكوثر المنشود     في ثغرك الشهي الحزين
فهو كأس سحرية لرحيق الخلد     قد صاغها اله الفنون
قبليني ، وأسكري ثغري الصادي     وقلبي ، وفتنتي ، وحنوني
علني استطيع ان انتشي     لجمال الدجى بوحي العيون
آه ! ما اجمل الظلام ! واقوى     وحيه في فؤادي المفتون !

# قلب الشاعر

كل ما هب وما دب وما قام او حام على هذا الوجود
من طيور وزهور وشذى وينابيع واغصان تميد
وبحار وكهوف وذرى وديار وراكين و بيد
وضياء وظلال ودجى وفصول وغيوم ورعود
وثلوج وضباب عابر وأعاصير وامطار تجود
وتعاليم ودين ورؤى وأحاسيس وصمت ونشيد
كلها تحيا بقلبي حرة غضة السحر كأطفال الخلود
ها هنا في قلبي الرحب العميق يرقص الموت وأطياف الوجود
ها هنا تعصف اهوال الدجى ها هنا تخفق آلام الورود
ها هنا تهتف اصداء المنون ها هنا تعزف ألحان الخلود
ها هنا تمشي الأماني والهوى
والأسى ، في موكب فخم النشيد

ها هنـا الفجر الذي لا ينتهي

ها هنا الليل الذي ليس يبيد!

ها هنـا ألف خصم ثائر

خالد الثورة مجهول الحدود

ها هنا في كل آن تمحي

صور الدنيا وتبدو من جديد!

# الأبدُ الصَّغِير

يا قلب كم فيك من دنيا محجبة    كأنها حين يبدو فجرها «إرمُ»
يا قلب كم فيك من كون قد اتقدت    فيه الشموس وعاشت فوقه الأمم
يا قلب كم فيك من أفق تنمقه    كواكب تتجلى، ثم تنعدم
يا قلب كم فيك من قبر قد انطفأت    فيه الحياة وضجت تحته الرمم
يا قلب كم فيك من غاب ومن جبل    تدوي به الريح أو تسمو به القمم
يا قلب كم فيك من كهف قد انبجست    منه الجداول تجري ماؤها الحُلُم
تمشي، فتحمل غصناً مزهراً نضراً    أو وردة لم تشوه حسنها قدم
أو نحلة جرها التيار مندفعاً    إلى البحار، تغني فوقها الديم
أو طائراً ساحراً ميتاً، قد انتحرت    في مقلتيه جراح جمة ودم
يا قلب إنك كون مدهش عجب    إن تسأل الناس عن آفاقه يجموا
كأنك الأبد المجهول قد عجزت    عنك النهى واكفهرت حولك الظلم

* * *

قلب كم من مسرات وأخيلة    ولذة، يتحامى ظلها الألم

غنت لفجرك صوتاً حالماً، فرحاً      نشوان، ثم توارت وانقضى النغم

وكم رأى ليلك الأشباح هائمة      مذعورة تتهاوى حولها الرجم

ورفرف الألم الدامي بأجنحة      من اللهيب، وأنّ الحزن والندم

وكم مشت فوقك الدنيا بأجمعها      حتى توارت، وسار الموت والعدم!

وشيدت حولك الأيام أبنية      من الأناشيد، تبنى، ثم تنهدم

* * *

تمضي الحياة بماضيها وحاضرها      وتذهب الشمس والشطآن والقمم

وأنت، أنت الخضم الرحب، لا فرح      يبقى على سطحك الطاغي، ولا ألم

* * *

يا قلب! كم قد تمليت الحياة، وكم      راقصتها مرحاً ما مسك السأم

وكم توشحت من ليل ومن شفق      ومن صباح توشي ذيله السدم

وكم نسجت من الأحلام أردية      قد مزقتها الليالي وهي تبتسم

وكم ضفرت أكاليلاً موردة      طارت بها زعزع تدوي وتحتدم

وكم رسمت رسوماً لا تشابهها      هذي العوالم والأحلام والنظم

كأنها ظلل الفردوس حافلة      بالحور ثم تلاشت واختفى الحلم

تبلو الحياة، فتبليها، وتخلعها      وتستجد حياة ما لها قدم

وأنت أنت: شباب خالد نضر      مثل الطبيعة لا شيب ولا هرم!

# قال قلبي للإله

في جبال الهموم أنبتُّ أغصاني ورفّتْ على الصخور بجهد
وتغشّاني الضباب فأورقت وأزهرت للعواصف وحدي
وتمايلت في الظلام وعطّرتُ فضاء الأسى بأنفاس وردي
وبمجد الحياة والشوق غنيتُ فلم تفهم الأعاصير قصدي
ورمتْ للوهاد أفنانيَ الخضر وظلت في الثلج تحفر لحدي
ومضت بالشذى فقلت لنفسي «ستغني الرياح بالعطر بعدي»
وتغزلت بالربيع؛ وبالفجر، وجاء الردى فما تمّ بعدي

# زَوْبَعَةٌ في الظَّلام

لو كانت الايام في قبضتي  أذريتها للريح مثل الرمال
وقلت: « يا ريح بها فاذهبي  و بدديها في سحيق الجبال
بل في فجاج الموت في عالم  لا يرقص النور به والظلال»

*

لو كان هذا الكون في قبضتي  ألقيته في النار : نار الجحيم
ما هذه الدنيا وهذا الورى  وذلك الافق وتلك النجوم
النار أولى بعبيد الأسى  ومسرح الموت وعش الهموم

*

يا أيها الماضي الذي قد قضى  وضمه الموتُ وليل الأبد
يا حاضر الناس الذي لم يزل  يا ايها الآتي الذي لم يلد
سحاقة دنياكم هذه  تائهة في ظلمة لا تحد

# قلب الأمّ

يا ايها الطفل الذي قد كان كاللحن الجميل
والوردة البيضاء تعبق في عشيات الاصيل

يا ايها الطفل الذي قد كان في هذا الوجود
حلماً يناجي هاته الدنيا بمعسول النشيد

ويعلّم الناس البراءة ، والمحبة ، والسرور
ويثير اعماق القلوب بروحه العذب النضير

ها انت ذا قد اطبقت جفنيك أحلام المنون
وتطايرت زمر الملائك حول مضجعك الامين

ومضت بروحك للسماء عرائس النور الحبيب
يحملن تيجاناً مذهبةً من الزهر الغريب

ها انت ذا قد جلّلتك سكينة الأبد الكبير
وبكتك هاتيك القلوب وضمّك القبر الصغير

وتفرّق الناس الذين الى المقابر شيّعوك
ونسوك من دنياهم ، حتى كأن لم يعرفوك

شغلتهم عنك الحياة وحرب هذي الكائنات
إن الحياة ـ وقد قضيت قبيل معرفة الحياة ـ
بحرٌ قرارته الردى، ونشيد لجته شكاة
وعلى شواطئه القلوب تئن دامية عراة
بحر، تجيش به العواصف في العشية والغداة
وتظله سحب الظلام، فلا سكون ولا إياة
نسيتك أمواج البحيرة والنجوم اللامعة
والبلبل الشادي وهاتيك المروج الشاسعة
وجداول الوادي النضير، بهمسها وخريرها
ومسالك الجبل الصغير، بعشبها وزهورها
حتى الرفاق...، فانهم لبثوا مدىً يتساءلون
في حيرةٍ مشدوهةٍ: «أين اختفى عنا الأمين»؟
لكنهم علموا بأنك في الليالي الداجيه
حملتك أذيال الظلام الى الجبال النائيه
فنسوك مثل الناس وانصرفوا الى اللهو الجميل
بين الخمائل، والجداول، والروابي، والسهول
ونسوا وداعة وجهك الهادي ومنظرك الوسيم
ونسوا تغنيك الجميل بصوتك الحلو الرخيم
ومضوا الى السهل البهيج يطاردون طيوره

ويزحزحون صخوره ، ويعانقون زهوره

ويشيّدون من الرمال البيض والحصب النضير

غرفاً ، وأكواخاً ، تكلّلها الحشائش والزهور

وينضدون من الربى بين التصاحك والحبور

طاقات وردٍ آبدٍ ، تزري بأوراد القصور

يلقونها في النهر ، قرباناً لآلهة السرور

فتسير في التيار ، راقصةً على نغم الخرير

كلٌّ نسوك .. ولم يعودوا يذكرونك في الحياة

والدهر يدفن في ظلام الموت حتى الذكريات

الا فؤاد ظل يخفق في الوجود الى لقاك

ويود لو بذل الحياة الى المنية ، وافتداك

فاذا رأى طفلاً بكاك ، وان رأى شبحاً دعاك

يصغي لصوتك في الوجود ، ولا يرى الا سناك

يصغي لنغمتك الجميلة ، في خرير الساقيه

في أنّة المزمار ، في لغو الطيور الشاديه

في ضجّة البحر المجلجل ، في هدير العاصفه

في نحة الغابات ، في صوت الرعود القاصفه

في نغمة الحمل الوديع ، وفي اناشيد الرعاة

بين المروج الخضر والسفح المجلل بالنبات

في آهة الشاكي ، وضوضاء الجموع الصاخبه
في شهقة الباكي يؤججها نواح النادبه

في كل اصوات الوجود : طروبها وكئيبها
ورخيمها ، وعنيفها ، وبغيضها وحبيبها

ويراك في صور الطبيعة : حلوها ودميمها
وأليفها ومخيفها ، وحقيرها ، وعظيمها

في رقة السحر الوديع ، وفي الليالي الحالمه
في فتنة الشفق البديع ، وفي النجوم الباسمه

في رقص امواج البحيرة تحت اضواء النجوم
في سحر زهر الربيع ، وفي تهاويل الغيوم

في لمعة البرق المخوف ، وفي هوي الصاعقه
في دمة الوادي ، وفي مجد الجبال الشاهقه

في مشهد الغاب المجرد ، والورود الذاويه
في ظلمة الليل الحزين ، وفي الكهوف العاريه

عرفت هذا القلب ، في ظمأه هتيف الوجود ؟!
هو قلب « أمل » امنت السكرى بحب الوجود !!

هو ذلك القلب الذي سيعيش كالشادي الضرير
يشدو بشكوى حبه الداجي في النفس الأخير

لا رنّة النسيان ترحم حزنه ، وترى بكاه
كلا ! ولا الايام تبلي في انامليها أساه

إلا إذا صفرت له الاقدار اكليل الجنون
وغدا شقياً صاحكاً تلهو بمرآه السنون

هو ذلك القلب الذي مهما تغلبت الحياة
وتدفع الزمن المدمدم في شعاب الكائنات

وتعست الدنيا ، وغرّد بلبلُ الغاب الجميل
سيظلُّ يعبد ذكرياتك · لا يمل ولا يميل

كالأرض تمشي فوق تربتها المسرّة والشباب
والليل ، والفجر المجنح ، والعواطف والسحاب

والحب ، تنبت في مواطئه الشقائق والورود
والموت ، يحفر اينما يخطو المقابر واللحود

وتمر بين فجاجها اللذات راقصة تميد
سكرى واحلام الورى ترنو الى الافق البعيد

وتظل ترقص للأسى ، تلهو ، أشباح الدهور
حتى يواريها ضباب الموت في وادي الدثور

وتظل تورق ، ثم تزهر ، ثم يمترها الصباح
للموت ، للشوق المحرق ، للجداول ، للرياح

بسمات ثغرٍ حالم ، يفتر في سهو السرور
وورود روضٍ باسمٍ يصغي لالحان الطيور
وتظل تخفق ، ثم تشدو ، ثم يطويها التراب
قُمَلٌ واطيار تعود للحياة وللشباب

وتظل تمشي في جوار الموت افراح الحياة
ويعود الشحرور ما بين الجماجم والرفات
والارض حالمةٌ تغني بين اسراب النجوم
انشودة الماضي السعيد وسُورة الازل القديم !

# أنا أبكيك للحبِّ

لست يا أمسي أبكيك لمجد أو جاه
سلبته مني الدنيا ، وعرتني رداه
وأنا احتقر المجد ، وأوهام الحياه

•

أو لعمر ، بلغت منه الليالي منتهاه
وتلاشت في خضم الزمن الطاغي قواه
وأنا ما زلت في فجر شبابي أو ضحاه

•

لا ، ولا أبكيك يا أمسي ، اذا ما قلت آه
حين لم ينل قلبي منه مشتهاه
فسنو الأيام في الدنيا كما شاء الاله

•

أنا أبكيك لحب ، الذي كان بهاه

يملأ الدنيا، فمالي سرت في الدنيا أراه
فاذا ما لاح فجر، كان في الفجر سناه
واذا غرد طير، كان في الشدو صداه
واذا ما ضاع عطر؛ كان في العطر شذاه
واذا ما رف زهر، كان في الزهر صباه
فهو في الكون جمال، يملأ الأفق ضياه
وتوشي هذه الاكوان بالسحر رؤاه
وهو في قلبي – الذي عانقه السحر – إله!
عبقري السحر، مراح وديع في سماه
ينسج الاحلام في قلبي بأضواء الحياه
ويغنيني فأنسى في مسرات غناه
كل ما في الكون من حزن وافراح عداه

# الجنة الضائعة

كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
فضية الأسحار مذهبة الاصائـل والبكور
كانت أرق من الزهور ومن اغاريد الطيور
وألذ من سحر الصبا في بسمة الطفل الغرير
قضيتها ومعي الحبيبـة لا رقيب ولا نذير
الا الطفولة حولنا تلهو مع الحب الصغير
أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطير
وطهارة الموج الجميل، وسحر شاطئه المنـير
ووداعة العصفور بين جداول الماء النمـير
أيام لم نعرف من الدنيا سوى مرح السرور
وتتبع النحل الأنيق وقطف تيجان الزهور

وتسلق الجبل المكلل بالصنوبر والصخور
وبناء اكواخ الطفولة تحت اعشاش الطيور
تبني فتهدمها الرياح ولا تضج ولا تثور
وسود تضحك للمروج وللزنابق والغدير
وتخاطب الاصداء ، وهي ترف في الوادي المنير
وتعيد اغنية السواقي وهي تلغو بالخرير
وتظل تركض خلف اسراب الفراش المستطير
وتمر ما بين المروج الخضر في سكر الشعور
تشدو وترقص كالبلابل ، للحياة وللحبور
وتظل تنثر للفضاء الرحب والنهر الكبير
ما في فؤاديها من الاحلام او حلو الغرور
وتشيد في الافق المنور من امانيها قصور
أزهى من الشفق الجميل ورونق المرج الحضير
واجل من هذا الوجود وكل امجاد الدهور
ابداً ، تدللها الحياة بكل انواع السرور
وتبث فيها من مزاح الكون ما يغوي الوقور
فتسير ، تنشد لهوها المعهود في كل الامور
وتظل تعبث بالجليل من الوجود وبالحقير
بالسائل الأعمى ، وبالمعتوه ، والشيخ الكبير

بالقطة البيضاء ، بالشاة الوديعة ، بالحمير
بالعشب ، بالعنن المتوّر ، بالسابل ، بالسفير
بالرمل ، بالصخر المحطم ، بالجداول ، بالغدير
واللهو والعبث البريء الحلو مطمحنا الاخير
ونظل نقفز ، أو نعي ، أو نثرثر أو ندور
لا نسأم اللهو الجميل ، وليس يدركنا الفتور
وكأننا نحيا بأعصاب من المرح المثير
وكأننا نمشي بأقدام مجنحة تطير
أيام كنا لب هذا الكون ، والباقي قشور
أيام نفرش سلمنا الدنيا بأوراق الزهور
وتمر أيام الحياة بنا ، كأسراب الطيور
بيضاء ، لاعبة ، مغردة ، مجنحة تدور
وترفرف الافراح فوق رؤوسنا أنّى نسيرُ

•

آه تواري سحري القدسي في ليل الدهور
وفنى ، كما يفنى النشيد الحلو ، في صمت الاثير
أواه ! قد ضاعت عليّ سعادة القلب الغرير

وبقيت في وادي الزمان المبهم أدأب في المسير
وأدوس اشواك الحياة بقلبي الدامي الكسير
وارى الاباطيل الكثيرة والمآثم والشرور
وتصادم الاهواء بالاهواء في كل الامور
ومذلة الحق الضعيف وعزة الظلم القدير!
وارى ابن آدم سائراً في رحلة العمر القصير
ما بين اهوال الوجود، وتحت اعباء الضمير
متسلقاً جبل الحياة الوعر كالشيخ الضرير
دامي الاكف، ممزق الاقدام، معفر الشعور
مترنح الخطوات ما بين المزالق والصخور
هالته اشباح الظلام، وراعه صمت القبور
ودوي اعصار الاسى، والموت في تلك الوعور!

•

ماذا جنيت من الحياة ومن تجاريب الدهور
غير الندامة والأسى واليأس والدمع الغزير؟
هذا حصادي من حقول العالم الرحب الخطير!
هذا حصادي كله في يقظة العهد الاخير!

•

قد كنت في زمن الطفولة والسذاجة والطهور

أحيا كما تحيا البلابل والجداول والزهور
لا تحفل الدنيا تدور بأهلها او لا تدور
واليوم احيا مرهق الاعصاب مشبوب الشعور
متأجج الاحساس ، احمل بالعظيم وبالحقير
تمشي على قلبي الحياة، ويزحف الكون الكبير!
هذا مصيري . .

يا بني الدنيا . .

فما أشقى المصير !!

# اغاني التائه

كان في قلبي فجر ونجوم　　وبحار لا تغشيها الغيوم

وأناشيد وأطيار تحوم　　وربيع مشرق حلو جميل

كان في قلبي صباح وإباة　　وابتسامات ولكن واأساه

آه ما اهول إعصار الحياة　　آه ما أشقى قلوب الناس آه

كان في قلبي فجر ونجوم

فإذا الكل ظلام وسديم

كان في قلبي فجر ونجوم

يا ابن امي! أترى اين الصباح ؟　　قد تقضى العمر والفجر بعيد

وطغى الوادي بمشبوب النواح　　وانقضت انشودة الفصل السعيد

أين نايي ؟ هل ترامته الرياح؟　　والاغاني، اين محراب السجود؟

حطموا قلبي فما اقسى الجراح　　كيف طاشت نشوة العيش الحميد

يا ابن امي! أترى اين الصباح ..؟

أوراء البحر، ام خلف الوجود ؟

يا ابن أمي! أترى اين الصباح ؟

ليت شعري هل ستسليني الغداة　　وتعزيني عن الأمس الفقيد
وتريني أن افراح الحياة　　زمر تمضي وافواج تعود
فاذا قلبي صداح وأياة　　واذا احلامي الاولى ورود
واذا الشحرور حلو النغمات　　واذا الغاب ضياء ونشيد

ليت شعري هل تعزيني الغداة ؟
ام ستنساني وتبقيني وحيد ؟
ليت شعري هل ستسليني الحياة ؟

# في ظل وادي الموت

نحن نمشي وحولنا هذه الأكوان تمشي، لكن لأية غايه ؟
نحن نشدو مع العصافير للشمس ، وهذا الربيع ينفخ نايه . ؟
نحن نتلو رواية الكون للموت، ولكن ماذا ختام الروايه ...؟
هكذا قلت للرياح فقالت سل ضمير الوجود كيف البداية.. ؟!

* * *

وتغشى الضباب نفسي فصاحت في ملال مر الى أين أمشي . ؟
قلت : سيري مع الحياة فقالت : ما جنينا ترى من السير أمس .؟
فتهافت كالهشيم على الأرض وناديت. أين يا قلب رفشي...؟
هاته ، علّي أحط ضريحي في سكون الدجى، وأدفن نفسي .

* * *

هاته ، فالظلام حولي رهيب وضباب الأسى مسيخ عليا
وكؤوس الغرام أترعها الفجر ، ولكن تحطمت في يديا
والشباب العزيز ولى الى الماضي، وخلى النحيب في شفتيا

هاته يا فؤاد إنا غريبا     ن نصوغ الحياة فناً شجيا

* * *

قد رقصنا مع الحياة طويلا     وشدونا مع الشباب سنينا

وعدونا مع الليالي حفاة     في شعاب الزمان حتى دمينا

واكلنا التراب حتى مللنا     وشربنا الدموع حتى روينا

ونثرنا الأحلام والحب والآلا     م والحزن يسرة ويمينا

* * *

ثم ماذا ؟ هذا أنا صرت في الدنيا بعيداً     عن لهوها وغناها

في ظلام الفناء ، أدفن أيا     مي ولا استطيع حتى بكاها !

وزهور الحياة ، تهوي بصمت     محزن ، مضجر ، على قدميا

جف سحر الحياة . يا قلبي البا     كي فهيا نجرب الموت هيا !

# الأشواق التائهة

يا صميم الحياة اني وحيد    مدلج تائه فاين شروقك ؟
يا صميم الحياة اني فؤاد    ضائع ظامىء فاين رحيقك ؟
يا صميم الحياة قد وجم الناي    وغام الفضا فاين بروقك ؟
يا صميم الحياة اين اغانيك    فتحت النجوم يصغي مشوقك؟

* * *

كنت في فجري الموشح بالأحلام    عطراً يرف فوق ورودك
حالماً ينهل الضياء ويصغي    لك في نشوة بوحي نشيدك
ثم جاء الدجى وامسيت اوراقاً    بداداً من ذابلات الورود
وضباباً من الشذى يتلاشى    بين هول الدجى وصمت الوجود
كنت في فجرك المغلف بالسحر    فضاء من النشيد الهادي
وسحاباً من الرؤى يتهادى    في ضمير الآزال والآباد
وضياء يعانق العالم الرحب    ويسري في كل حي وناد
وانقضى الفجر فانحدرت من الأفق    تراباً الى صميم الوادي

* * *

يا صميم الحياة كم انا في الدنيا غريب اشقى بغربة نفسي
بين قوم لا يفهمون اناشيد فؤادي ولا معاني بؤسي
في وجود مكبل بقيود تائه في ظلام شك ونحس
فاحتضني وضمني لك كالطفل فهذا الوجود علة يأسي

* * *

لم اجد في الوجود إلا شقاء سرمدياً ولذة مضمحلة
وأماني يغرق الدمع احلاها ويمحي يم الزمان صداها
واناشيد يأكل اللهب الدامي مسراتها ويبقي اساها
وورودا تموت في قبضة الاشواك.. ما هذه الحياة المملة!

* * *

سئمت هذه الحياة معاد وصباح يكر في إثر ليل
ليتني لم اعد الى هذه الدنيا ولم تسبح الكواكب حولي
ليتني لم يعانق الفجر احلامي ولم يلثم الضياء جفوني
ليتني لم ازل كما كنت ضوءاً شائعاً في الوجود غير سجين

# الرواية الغريبة

ضحكنا على الماضي البعيد وفي غد

ستجعلنا الايام اضحوكة الآتي

وتلك هي الدنيا رواية ساحر

عظيم ، غريب الفن مبدع آيات

يمثلها الاحياء في مسرح الأسى

ووسط ضباب الهم تمثيل اموات

ليشهد من خلف الضباب فصولها

ويضحك منها من يمثل ما ياتي

وكل يؤدي دوره .. وهو ضاحك

على الناس مضحوك على دوره العاتي !

# الناس

ما قدس المثل الاعلى وجمله
في اعين الناس الا انه حلمُ
ولو مشى فيهم حياً لحطمه
قوم ، وقالوا تحنث . انه صنم
لا يعبد الناس الا كل منعدم
ممتنع ، ولو حاباهم العدم
حتى العباقرة الافذاذ حظهم
يلقى الشقاء وتلقى مجدها الرمم
الناس لا ينصفون الحي بينهم
حتى اذا ما توارى عنهم ندموا
عين الناس من هوانهم ابداً
يمشي الزمان وريح الشر تحتدم

# أمل الشاعر . !

ليت لي ان اعيش في هذه الدنـ     يا بعيداً بوحدتي وانفرادي
اصرف العمر في الجبال وفي الغا     بات وبين الصنوبر المياد
ليس لي من شواغل العيش ما يصـ     رف نفسي عن استماع فؤادي
اتغنى مع البلابل في الغاب     واصغي الى خرير الوادي
واناجي النجوم والفجر والاطـ     يار والنهر والضياء الهادي
عيشة للجمال والفن أبغيـ     ها بعيداً عن امتي وبلادي
لا اعني نفسي باحزان شعبي     فهو يحيا نطفة لآباد
حسب نفسي من الاسى ما لديها     من طريف مستحدث وتلاد
وعن الناس ، لا افكر في النا     س ولا في حديث تلك النوادي
فهو من معدن السخافة والافـ     ك ، ومن ذلك الهراء العادي
ين منه خرير تلك الينابيـ     ع لحوازي وشدو تلك الشوادي
وحفيف الغصون تنقه الطـ     ل وهمس النسيم للاوراد
هذه عيشة تقدسها نفسي     وتدعو بمجدها وتنادي

# النبي المجهول

أيها الشعب! ليتني كنت حطا  ـباً، فأهوي على الجذوع بفأسي!
ليتني كنت كالسيول إذا سا  لت تهد القبور رمساً برمس!
ليتني كنت كالرياح فأطوي  كل ما يخنق الزهور بنحسي!
ليتني كنت كالشتاء أغشي  كل ما أذبل الخريف بقرسي
ليت لي قوة العواصف يا شعـ  ـبي فألقي إليك ثورة نفسي
ليت لي قوة الأعاصير إن ضجـ  ـت فأدعوك للحياة بنبسي!
ليت لي قوة الأعاصير! لكن  أنت حي يقضي الحياة برمس!
أنت روح غبية تكره النو  ر وتقضي الدهور في ليل ملس!
أنت لا تدرك الحقائق إن طا  فت حواليك دون مس وجس!

* * *

في صباح الحياة ضمخت أكوا  بي وأترعتها بخمرة نفسي
ثم قدمتها إليك فأهرقـ  ـت رحيقي ودست يا شعب كأسي!
فتألمت ثم أسكت آلا  مي وكفكفت من شعوري وحسي

ثم نضدت من ازاهير قلبي ... باقة لم يمسها اي انسي
ثم قدمتها اليك فمزقـ ... ـت ورودي ودستها اي دوس !
ثم ألبستني من الحزن ثوباً ... وبشوك الصخور توجت رأسي !

***

ها أنا ذاهب الى الغاب يا شعـ ... ـبي لأقضي الحياة وحدي بيأس
ها أنا ذاهب الى الغاب علي ... في صميم الغابات ادفن نفسي
ثم انساك ما استطعت فما أنـ ... ـت بأهل لخمرتي ولكأسي
سوف اتلو على الطيور أناشيـ ... ـدي وافضي لها بأحزان نفسي
فهي تدري معنى الحياة وتدري ... ان مجد النفوس يقظة حس!
ثم اقضي هناك في ظلمة الليـ ... ـل وألقي الى الوجود بيأسي
ثم تحت الصنوبر الناضر الحلـ ... ـو تخط السيول حفرة رمسي
وتظل الطيور تلغو على قبـ ... ـري ويشدو النسيم فوقي بهمس
وتظل الفصول تمشي حوالي ... كما كن في غضارة امسي

***

ايها الشعب انت طفل صغير ... لاعب بالتراب والليل مغس!
انت في الكون قوة لم تسسها ... فكرة عبقرية ذات بأس!
انت في الكون قوة كبلتها ... ظلمات العصور من امس امس
والشقي الشقي من كان مثلي ... في حساسيتي ورقة نفسي

***

هكذا قال شاعر ناول النا ... س رحيق الحياة في خير كأس

فأشاحوا عنها ، ومروا غضاباً ... واستخفوا به وقالوا بيأس :

« قد أضاع الرشاد في ملعب الجن ... فيا بؤسه أصيب بمس ! »

« طالما خاطب العواصف في الليل ... وناجى الأموات في كل رمس »

« طالما رافق الظلام الى الغا ... ب ونادى الارواح من كل جنس »

« طالما حدث الشياطين في الوا ... دي وغنى مع الرياح بجرس »

« انه ساحر تعلمه السحـ ... ـر الشياطين كل مطلع شمس »

« فابعدوا الكافر الخبيث عن الهيكل ، إن الخبيث منبع رجس »

« اطردوه ، ولا تصيخوا اليه ... فهو روح شريرة ذات نحس »!

***

هكذا قال شاعر فيلسوف ... عاش في شعبه الغبي بتعس

جهل الناس روحه وأغانيـ ... ـها ، فساموا شعوره سوم بخس

فهو في مذهب الحياة نبي ... وهو في شعبه مصاب بمس !

هكذا قال ، ثم سار الى الغا ... ب ، ليحيا حياة شعر وقدس

***

وبعيداً هناك في معبد الغا ... ب الذي لا يظله أي بؤس

في ظلال الصنوبر الحلو والزيـ ... ـتون يقضي الحياة حرساً بحرس

في الصباح الجميل يشدو مع الطـ ... ـير ، ويمشي في نشوة المتحسي

نافخاً نايه حواليه تهتز ... ورود الربيع من كل قنس

شعره مرسل — تداعبه الرِّ يح — على منكبيه مثل الدمقس
والطيور الطِراب تشدو حواليه ، وتلغو في السرو من كل جنس
وتراه عند الاصيل لدى الجد ول يرنو للطائر المتحسي
او يعي بين الصنوبر او ير نو الى سدفة الظلام المغسي
واذا اقبل الظلام وامست ظلمات الوجود في الكون تغسي
كان في كوخه الجميل مقيماً يسأل الكون في خشوع وهمس:
عن مصب الحياة اين مداه؟ وصميم الوجود اي اين يرسي؟
وعبير الورود في كل واد ونشيد الطيور حين تمسي
وهزيم الرياح في كل فج ورسوم الحياة من امس امس
واغاني الرعاة اين يواري ها سكون المضاء؟ وأين تمسي

***

هكذا يصرف الحياة ويفني حلقات السنين حرساً بحرس
يا لها من معيشة في صميم الـ ـغاب تضحي بين الطيور وتمسي
يا لها من معيشة لم تدنسـ ـها نفوس الورى بخبث ورجس
يا لها من معيشة هي في الكو ن حياة غريبة ذات قدس

# أيتها الحالمة بين العواصف

أنت كالزهرة الجميلة في الغاب ولكن ما بين شوك ودود

والرياحين تحت الحسك الشري ر والدود من صنوف الورود

فاهجري الناس، إنما الناس خلق مفسد في الوجود غير رشيد

والسعيد السعيد من عاش كالليل غريباً في أهل هذا الوجود

ودعيهم يحيون في ظلمة الإثم وعيشي في طهرك المحمود

كالملاك البريء، كالوردة البيضاء كالموج في الخضم البعيد

كأغاني الطيور، كالشفق الساحر كالكوكب البعيد السعيد

كثلوج الجبال، يغمرها النور وتسمو على غبار الصعيد

* *

أنت تحت السماء روح جميل صاغه الله من عبير الورود

وبنو الأرض كالقرود، وما أضـ يع عطر الورود بين القرود

أنت من ريشة الإله، فلا تلـ قي نفيس السنا لجهل العبيد

أنت لم تخلقي ليقربك النا س ولكن لتعبدي من بعيد!!

# في ظلال الغاب

يا ليت شعري ! هل لليل النفس من صبح قريب

فتقر عاصفة الظلام . وتهجع الريح الغضوب .

ويرتل الانسان أغنيـة مع الدنيا طروب ..؟

***

ما للرياح تهب في الدنيا ، ويدركها اللغوب

الا رياحي ، فهي جامحة تمردها عصيب ؟

مالي تعذبني الحياة كأنني خلق غريب ؟

وتهد من قلبي الجميل ، فهل لقلبي من ذنوب ؟

واذا سألت لم الوجود ، وكله هم مذيب ؟

قالت « نواميس السماء قضت ومالك من هروب »

آه على قلبي ! وان شقيت كشقوته قلوب

انقى من الموج الوضيء ومن نشيد العندليب

لم تقترف اثم الحيـاة ولا تموت النهيب

***

يا مهجة الغاب الحزين أما تصدعت المحب

يا وجنة الورد الانيق أما تشوهت الندوب

يا جدول الوادي الطروب ! ألم يرنقك القطوب ؟
يا غيمة الافق الخصيب ! ألم تمزقك الخطوب ؟
يا كوكب الشفق الضحوك ! أما ألم بك الشحوب؟
ها انت تضحك في سمائك لاتهم ولا تجيب !
تلقي على قمم الجبال الشم حالمة الغيوب
وابكي تغنيك الجداول لحنها العذب الحبيب
وترى جمالك من بنات الغاب معطار لعوب
ممشوقة في فرعها تاج من الورد الخصيب
تتلو أناشيد الربيع كأنها نجوى القلوب
يا كوكب الشفق الجميل ! وانت منتهل الكئيب
لح في السماء . وغن اساء الشقاوة والخطوب
انشودة تهب الحياة لكل مبتئس غريب
فالطير قد أعيت وأسكت صوتها الليل المهيب
وابسط جناحك في الوجود فانه عذب حلوب
متألق بين النجوم كأنه حلم طروب
وانثر ضياءك ساطعاً ينير اعماق القلوب
ويلج حولنا من الاحزان ديجور رهيب

مـا مياه نقية حولي ، ومصحري مشوب ؟

ما للصباح يعود للدنيـا ، وصبحي لا يؤوب ؟

ما لي يضيق بي الوجود ، وكل ما حولي رحيب ؟

ما لي وجمت ، وكل ما في الغاب مغترد طروب ؟

ما لي شقيت ، وكل ما في الكون أخاذ عجيب ؟

ها إن أنوار النهار تطل من خلف الغروب

فتخضب الأمواج والآفـاق والجبـل الخصيب

ها إن أقدام الربيع تلامس السهل الجديب

فـإذا بـه يحيي ويبعث رائق الزهر الرطيب

إن الوجود الرحب والغابات والأفق الخصيب

لم تحي نيران الحياة بها ، ويغمرها القطوب

أما أنا فعقدتها والليل مرقده عصيب

والريح تعصف بالورود فشتت سحرية الخطوب

* * *

مهما تضاحكت الحيـاة فإن قلبي كئيب

أصغي لأوجاع الكآبة والكآبة لا تجيب

في مهجتي تتأوه الهوى ويعتلج النحيب

ويضج جبـار الأسى وتئن غمغمـة الكروب

إني أنا الروح الذي سيظل في الدنيا غريب

ويعيش مضطلعاً بأحزان شبيبـة ومشيب

# فكرة الفنان

عش بالشعور ، وللشعور فانما | دنياك كون عواطف وشعور
شيدت على العطف العميق ، وانها | لتجف لو شيدت على التفكير
وتظل جامدة الجمال ، كئيبة | كالهيكل المتهدم ، المهجور
وتظل قاسية الملامح جهمة | كالموت مقفرة بغير سرور
لا الحب يرقص فوقها ، متغنياً | للناس بين جداول وزهور
متورد الوجنات سكران الخطى | يهتز من مرح ، وفرط حبور
متكللاً بالورد ينثر للورى | أغصان « ورد اللذة » المنطور
كلا ، ولا الفن الجميل بظاهر | في الكون تحت غمامة من نور
متوشحاً بالسحر يسفح نايه المثـ | ـوب بين خمائل وغدير
أو يلمس العود المقدس ، واصفاً | للموت ، للايام ، للديجور
مـ في الحياة من المسرة ، والاسى | والسحر ، واللذات ، والتغرير
أبداً ، ولا الامل المجنح منشد | فيها بصوت الحالم المحبور

تلك الاناشيد التي تهب الورى عزم الشباب ، وعطفة العصفور

***

واحمل شعورك في الطبيعة قائداً فهو الخبير بتيهها المسحور

صحب الحياة صغيرة ومشى بها بين الجماجم والدم المهدور

وعدا بها فوق الشواهق باسماً متغنياً من اعصر ودهور

والعقل رغم مشيبه ووقاره ما زال في الايام جد صغير!

يمشي فتقرعه الرياح فينثني متوجعاً ، كالطائر المكسور

ويظل يسأل نفسه متفلسفاً متنطعاً في حمقة وغرور

عما تحدثه الكواكب حلمها من سر هذا العالم المستور

وهو المهشم بالعواصف يا له من سادج متفلسف مغرور

---

وافتح فؤادك للوجود وخله لليم ، للأمواج ، للديجور

للثلج تنثره الزوابع للأسى للهول للآلام ، للمقدور

واتركه يقتحم العواصف هائماً في افقها المتلبد المقرور

ويخوض احشاء الوجود مغامراً في تيهه المتشعب المحذور

حتى تعانقه الحياة ويرتوي من ثغرها المتأجج المسحور

فتعيش في الدنيا بقلب زاخر يقظ المشاعر حالم مسحور

في نشوة صوفية قدسية هي روح هذا العالم المسطور

# من أغاني الرعاة

أقبل الصبح يغني للحياة الناعسه
والربى تحلم في ظل الغصون المائسه
والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسه
وتهادى النور في تلك الفجاج الدامسه

●

أقبل الصبح جميلاً يملأ الأفق بهاه
فتمطى الزهر والطير وأمواج المياه
قد أفاق العالم الحي، وغنى للحياه!
وأفيقي يا خرافي وهلمي يا شياه

●

واتبعيني يا شياهي بين أسراب الطيور
واملئي الوادي ثغاء ومراحاً وحبور
واسمعي همس السواقي وانشقي عطر الزهور

وانظري الوادي يغشيه الضباب المستنير

•

واقطفي من كلأ الارض ومرعاها الجديد
واسمعي شدّاتي تشدو بمعسول النشيد
نغم يصعد من قلبي كأنفاس الورود
ثم يسمو طائراً كالبلبل الشادي السعيد

•

واذا جئنا الى الغاب وغطانا الشجر
فاقطفي ما شئت من عشب وزهر وثمر
ارضعته الشمس بالضوء وغذاه القمر
وارتوى من قطرات الطل في وقت السحر

•

وامرحي ما شئت في الوديان او فوق التلال
وارتعي في ظلها ما شئت ان حمت الكلال
واسمعي الاعشاب والافكار في صمت الظلال
واسمعي الريح تغني في شماريخ الجبال

•

إن في الغاب أزاهير وأعشاباً عذاب
ينشد النحل حواليها أهازيج طراب

لم تدس عطرها الطاهر انفاس الذئاب
لا ولا طاف بها الثعلب في بعض الصحاب

•

وشذاً حلواً ، وسحرا وسلاما وظلال
ونسيما ساحر الخطوة موفور الدلال
وغصوناً يرقص النور عليها والجمال
واخضراراً أبدياً ليس تمحوه الليال

•

أن تملي يا خرافي من حمى الغاب الظليل
فزمان الغاب طفل لاعب عذب جميل
وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيل
يتمشى في ملال فوق هاتيك السهول

•

لك في الغابات مرعاي ومسعاي الجميل
ولي الانشاد والعزف الى وقت الاصيل
فاذا طالت ظلال الكلأ الغض الضئيل
فهلمي نرجع المسعى الى الحي النبيل

# نشيد الجبّار

## أو

## هكذا غنى بروميثيوس

سأعيشُ رغم الداءِ والأعداءِ كالنسر ، فوق القمة الشماء
أرنو الى الشمس المضيئة هازئاً بالسحب ، والأمطار ، والأنواء
لا ألمح الظل الكئيب ولا أرى ما في قرار الهوّة السوداء
وأسير في دنيا المشاعر حالماً غرداً ، وتلك طبيعة الشعراء
أشدو بموسيقى الحياة ووحيها وأذيبُ روح الكون في انشائي
وأصيخ للصوت الآلهيّ الذي يحيي بقلبي ميتَ الاصداء

* * *

وأقول للقدر الذي لا ينثني عن حرب آمالي بكل بلاء
« لا يطفىء اللهب المؤججَ في دمي
موجُ الأسى ، وعواصف الأرزاء
فاهدمْ فؤادي ما استطعت فإنه
سيكون مثل الصخرة الصماء

لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا
وضراعة . الأطفال والضعفاء

ويعيش كالجبار يرنو دائماً
للفجر .. للفجر الجميل النائي

واملأ طريقي بالمخاوف والدجى
وزوابع الأشواك والحصباء

وانشر عليه الرعب وانثر فوقه
رُجُم الرَّدى وصواعق البأساء

سأظل أمشي رغم ذلك عازفاً
قيثارتي مترنماً بغنائي

أمشي بروح حالمٍ ، متوهجٍ
في ظلمة الآلام والأدواء

النور في قلبي وبين جوانحي
فعلام أخشى السير في الظلماء؟

إني أنا الناي الذي لا تنتهي
أنغامه ما دام في الأحياء

وأنا الخضم الرحب ، ليس تزيده
إلا حياةً سطوة الأنواء

* * *

أما إذا خمدت حياتي وانقضى
عمري وأخرست المنية نائي

وخبا لهيب الكون في قلبي الذي
قد عاش مثل الشعلة الحمراء

فأنا السعيد بأنني متحول
عن عالم الآثام والبغضاء

لأذوب في فجر الجمال السرمدي
وأرتوي من منهل الأضواء

* * *

وأقول للجمع الذين تجشموا
هدمي وودوا لو يخر بنائي

ورأوا على الاشواك ظلي هامداً فتوهموا اني قضيت ذماني
وغدوا يشمون اللهيب بكل ما وحدوا ... ليشووا فوقه اشلائي
ومضوا يمدون الخوان ليأكلوا لحمي ويرتشفوا عليه دمائي
اني اقول لهم بصوت حالم وعلى شفاهي بسمة استهزاء :
« ان المعاول لا تهد مناكبي والنار لا تأتي على اعضائي
حتى ولو امسيت جسماً ميتاً ملقى لعصف الزعزع النكباء
فارموا الى النار الحشائش والعبوا يا معشر الاطفال تحت سمائي
واذا تمردت العواصف وانتشى بالهول قلب القمة الزرقاء
ورأيتموني طائراً مترنماً فوق العواصف في الفضاء النائي
فارموا على ظلي الحجارة واختفوا خوف الرياح الهوج والانواء
وهناك في أمن البيوت تبادلوا غث الحديث وميت الآراء
وترنموا ما شئتم بشتائمي وتجاهروا ما شئتم بعدائي
اما انا فأجيبكم من فوقكم والشمس والشفق الجميل ازائي :
« من جاش بالوحي المقدس قلبه لم يحتفل بحجارة الفلتاء » !!

# الصّباح الجديدْ

اسكتي يا جراح          واسكني يا شجون
مات عهد النواح          وزمان الجنون
وأطل الصباح          من وراء القرون

•

في فجاج الهوى          قد دفنت الالم
ونثرت الدموع          لرياح العدم
واتخذت الحياة          معزفاً للنغم
اتغنى          عليه          في رحاب الزمان

•

وأدت          الأسى          في جمال الوجود
ودحوت          الفؤاد          واحة للنشيد
والصبا          والظلال          والشذى والورود
والهوى          والشباب          والمنى والحنان

•

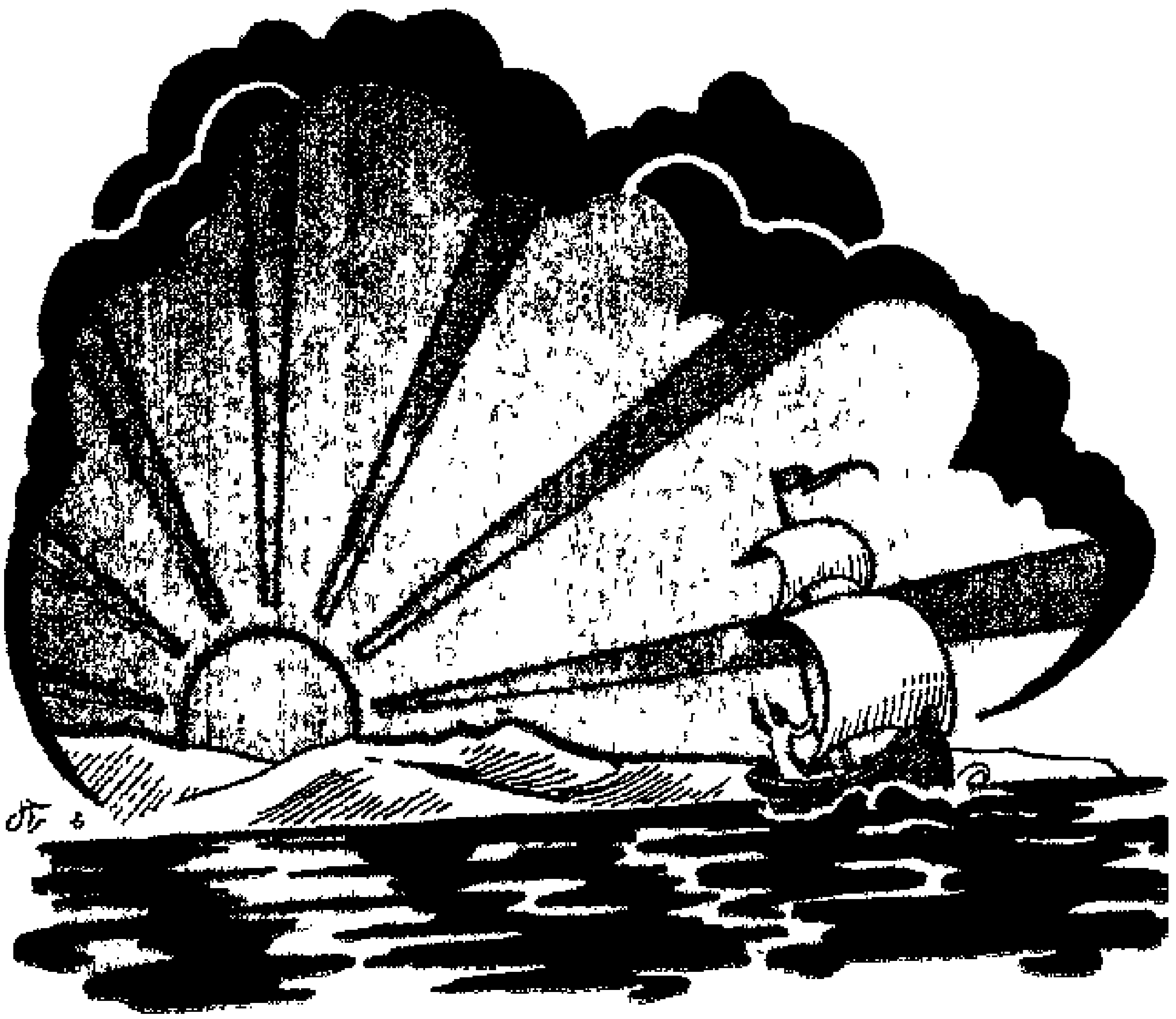

اسكتي يا جراح واسكتي يا شجون

مات عهد النواح وزمان الجنون

وأطل الصباح من وراء القرون

•

في فؤادي الرحيب معبد للجمال

شيدته الحياة بالرؤى والخيال

فتلوت الصلاة في خشوع الظلال

وحرقت البخور وأضأت الشموع

•

ان سحر الحياة خالد لا يزول

فعلام الشكاة من ظلام يحول

ثم يأتي الصباح وتمر الفصول

سوف يأتي ربيع ان تقضى ربيع

•

اسكتي يا جراح واسكتي يا شجون

مات عهد النواح وزمان الجنون

واطل الصباح من وراء القرون

•

من وراء الظلام وهدير المياه

قد دعاني الصباح وربيع الحياه
يا له من دعاء هزّ قلبي صداه
لم يعد لي بقاء فوق هذي البقاع

●

« الوداع الوداع يا جبال الهموم »
« يا ضباب الاسى يا فجاج الجحيم »
« قد جرى زورقي في الخضم العظيم »
« ونشرت القلاع فالوداع الوداع »!!

# نماذج

من

# النثر

# الشعرُ

## ماذا يجب ان يفهم منه ؟ وما هو مقياسه الصحيح ؟

كثيراً ما تحدث الناس عن الشعر وكثيراً ما رتلوه

فالشاعر والفنان ، والمؤرخ والفيلسوف ، والراهب في ديره ، والناسك في صومعته ، والشاب في مدرسته ، والغادة في خدرها ، والراعي بين الغابات والحقول ، والحصاد بين السنابل والاثمار ، والبحّار يصارع الموج ويقاوم العاصفة في زورقه الصغير ، كل هؤلاء يتحدثون عن الشعر احاديثاً كثيرة متباينة ، ويصفونه بأوصاف غريبة ، ويتكلمون عنه بلغة يقرب بها كل بين ما في نفسه وبين حقيقة الشعر ، وكل هؤلاء يرتلونه في اوقات الوحدة والانفراد ، ويتغنون به حينما يخلو كل واحد الى نفسه ويصغي الى احاديث قلبه الكثيرة ، ولكنك لو سألت كل واحد من هؤلاء عن « الشعر » وعما يفهم من هذه الكلمة الصغيرة ، لتلعثمت ألسنة ، واختلجت شفاه ، ولرأيت عيوناً حائرة ، واخرى ساحرة ، واخرى سادحة طافحة تعبرات الحيرة

الشعر ا وهل يسأل عن الشعر ؟

ان الشعر هو الحياة نفسها في حسنها ودمامتها، في صمتها وصحتها، وفي هدوئها وثورتها، في نومها ويقظتها، وفي كل صورة من صورها ولون من ألوانها.

الشعر! وهل يسأل عن الشعر؟!

ان الشعر يا صاحبي، هو ما تسمعه وتبصره في صحة الريح وهدير البحار، وفي بسمة الوردة الحائرة يدمدم فوقها النحل ويرفرف حواليها الفراش، وفي النغمة المغردة يرسلها الطائر في الفضاء الفسيح، وفي وسوسة الجدول الحالم المترنم بين الحقول، وفي دمدمة النهر الهادر المتدفق نحو البحار وفي مطلع الشمس وخفوق النجوم، وفي كل ما تراه وتسمعه، وتكرهه وتحبه، وتألفه وتخشاه. فهل بعد ذلك تسألني عن الشعر؟

هكذا يجيبك الشاعر وهكذا يتحدث اليك الفنان. ويقول لك المؤرخ. انما الشعر يا هذا ما مثل عوائد الشعب وأخلاقه، وعقائده وأوهامه، وفضائله ورذائله؛ واعطاك من كل ذلك صورة صادقة ناصعة للحق والتاريخ. ويجيبك قائلا. هل الشعر يا صاحبي الا ما اوقفك في هيكل الوجود، وعلمك الحكمة واسمعك اغاني الحياة وصلواتها ويقول لك الراهب. هو الشعر يا بني، كل ما تغنى بمجد الله في السموات والارض، واقتلع الكفر والزيغ من فؤاد الانسان ويقول لك الزاهد الشعر يا ابن اخي، هو ما حبب الى النفس القناعة والزهد وأبعدها عن صحة العالم، لتصغي الى الله متكلما ويقول لك الشاب هو ما يتغنى به قلبي حينما يسكره رحيق

الحياة. وتقول لك العذراء: هو ما اسمعه من شفاه الشاب الجميل حينما يجالسني فأنسى العالم في حواره. ويقول لك الراعي: هو اغنيتي الجميلة في الصباح حينما اسوق المواشي بين المزارع، واطارد الطير فوق الجبال، والحاني شبابتي في المساء، حينما ارجع الى الحي وفي قلبي غبطة القناعة، وفي عيني وميض السرور ويجيبك الحصاد قائلاً. هو تلك الاغاني البهيجة التي ترتلها جموع الشبان، واسراب الصبايا حينما يجتمعون بين الحقول لحصاد السنابل الشقراء وجمع الاغمار الناضجة ويقول لك البحار: هو تلك الانشودة الساحرة التي اتلوها وانا بين أهوال البحر وزئير الامواج، فتنسيني مخاوف اليم وتبعث في ساعدي قوة الجبار وفي قلبي عزم الشباب

هكذا يجيبك هؤلاء عن الشعر وكل واحد منهم انما اعطاك صورة من نفسه ورسم لك احلام قلبه في هاته الكلمة الصغيرة الكبيرة.

أما أنا فلا اريد ان اخالفك فاقول لك ان الشعر هو كل ما قال هؤلاء – وان كان ذلك حقاً – ثم امضي صامتاً لأني أعتقد انك ستظل مبلبل النفس مضطرب المشاعر، تسائل نفسك من حين لآخر ما هو الشعر؟ بل اني ساخذ بيمينك وامضي بك في طريق ممهدة واضحة، لا ألتواء فيها ولا اشواك وسأحدثك عن الشعر، حديثاً هادئاً لا عنف فيه ولا قوة، كأحاديث الاصدقاء في ليالي الصيف المقمرة وساحاول ان اجعله بسيطاً واضحاً سهلاً. يرسم لك صورة مجردة عن الشعر، ويعطيك مقياساً صحيحاً او قريباً من الصحة – على الاقل –

لتفهمه وللحكم عليه . ولكنني ساوجز ما استطعت في تحدثي عن الشعر لاني وقد استوقفتك لتسمعني مكلماً عنه، لا اريد ان احد عليك وقتك .

الشعر يا صديقي «تصوير وتعبير» تصوير لهذه الحياة التي تمر حواليك، معنية ، ضاحكة ، لاهية . او مقطبة ، واجمة باكية او وادعة حالمة ، راضية ، او محدقة ، ثائرة ، ساخطة او تصوير لآثار هذه الحياة التي تحس بها في اعماق قلبك ، وتقلبات افكارك ، وخلجات نفسك، ورفرفة احلامك وعواطفك

وتعبير عن تلك الصور او هاته الآثار باسلوب فني جميل ، مليء بالقوة والحياة . يقرأه الناس فيعلمون انه قطعة انسانية من لحم ودم وقلب وشعور لانهم يحسون انه قطعة من روح الشاعر ، وعمق من عواطفه ، او فلذة حية من فؤاد الحياة هو هذا الاسلوب الذي يكون عنيفاً كالعاصفة حينما يمثل سخط الحياة او ثوران العواطف ، ويكون وادعاً كضوء القمر ، حينما يمثل طمأنينة الحياة وسكون النفس ،ويكون رقيقاً شجياً كأنات ناي بعيد ، حين يمثل احلام الحياة ونجوى القلوب المتحابة ، ويكون كئيباً مظلماً كقلب الظلام ، حينما يمثل بؤس الحياة واحزان البشر

والتصوير الصادق الذي يريك تصورات الشاعر ارقى من تصورات البشر والتعبير الفني الجميل الذي يكون قالباً انسانياً حياً لذلك المعنى الذي يشمله ، ذلك هو الذي ينبغي لك ان تبحث عنه، كلما قرأت قصيداً او رتلت مقطوعة ، او تصفحت ديواناً فان وجدته فكن على يقين انك اما

تقرأ شعر الحياة، وان انت احطأته، فاعلم انك تقرأ شعراً زائفاً لا قيمة له في سوق الخلود

ولا يهمك بعد ان تجد « التصوير الصادق » و « التعبير الصحيح » أكان ذلك الشعر غنائياً يتغنى بخوالج النفس وعواطف الانسان، ام كان قصصياً يقص عليك فصول الحياة كما هي او يرسم لك مثلها العليا كما توحيها اليه احلامه. ام كان تمثيلياً يمثل لك كثيراً من حقائق النفس وصور الحياة، ومشاهد هذا الوجود وانما الذي يهمك بعد ان استوثقت ان الذي بين يديك نتاج قريحة خصبة متفتحة، وخيال حي صحيح، هو ان تعرف هل انك تقرأ مثلاً أعلى من الشعر الانساني الذي يكاد يسمو الى درجة الألهام، او انك تقرأ مثلاً دون ذلك! ولكي تدرك هاته الحقيقة فانظر هل هو من ذلك النوع الذي يوسع افق الحياة في نفسك، ويجعلها تحس بتيارات الوجود اكثر مما كانت تحس، وتدرك من معانيه واصواته اكثر مما الفت ان تدرك، وينسيك وجودك الانساني لحظة، لتستغرق في عالم الجمال المطلق الذي يخلقه الشاعر حواليك ويسبغ ممسه على نفسك. أقول انظر فان كان من هذا النوع فاعلم انك تقرأ شعراً الاهياً لا تجود بمثله الحياة كثيراً، والا فاعلم انك تقرأ مثلاً دون ذلك

ذلك هو الشعر في نظري يا صديقي، وهذا هو المقياس الذي اعرف به الشعر من غيره، وأدرك به المثل الاعلى من غيره وكني قبل ان افارقك، اقول لك ان هذا المقياس من شأنه ان يقصي عديداً من النعم

ان تلـقي بكثير من اصنام الشعر ودواوين الشعراء الى النار او الى سلة المهملات . فان كنت رقيق القلب حم العواطف فأني انصح لك في اخلاص ان لا تأخذ هذا المقياس يا صاحبي ، وان تقنع بمقياسك ان كان لك مقياس تقدر به قيم الشعر في عالم الأدب . وان كنت من الاخلاص للأدب والفن بحيث لا يحزنك مشهد الاصنام البشرية تحترق في جحيم الحياة . ولا يحرك نفسك او يهز مشاعرك رؤية الاصنام الكثيرة تندثر في ظلام الاهمال وتنبعث منها رائحة الموت . فلتأخذ هذا المقياس ولتكن مخلصاً في استعماله ، وانا الكفيل بأنك تكون قد حزت مقياساً دقيقاً تعرف به كيف تفرق بين شعر الحياة الخالد، وبين شعر السخافات والتقليد

# يقظة الأحساس

## واثرها في الفرد والجماعة

تسمع الى هذا الشاعر فاذا أنت امام روح الاهي نبيل يسمو بنفسك الى آفاق الحق والفن والجمال ويجعل منك كتلة من شعور قدسي مشبوب. وتسمع الى آخر فترى انك تسمع الى حديث ساذج بسيط لا يميزه عن احاديث الناس العادية إلا رنة النغم وتواتر القوافي وجمال التعبير وتسمع الى غيره فتخال انك تجلد بالسياط او تساق الى الموت على وجهك .

وتصغي لهذا المنشد او الموسيقار فيستفز نفسك ويثير وجدانك ويهز عواطف قلبك ويذكي خيالك الى اقصى مداه حتى تكاد تستحيل شعلة متوهجة من خيال وذكريات واحلام وتصغي سواه فلا تشعر وانت تصغي اليه الا بحلاوة في الصوت وجمال في مقاطع ورقة في تنسيق يتيح من متعة يخفف عن النفس اعباء العيش ومتاعبه . وتصغي الى غيرهما فيكاد يثرب يمينك والصخر يقضي عليك وترى صورة ... او قتلا ... تحدث فتشعر بنشوة روحية سامية تعرج بك ... لامكان وتعرج بك الى البعيدة

وترى لغير هدين فلا تحس في نفسك بغير الاعجاب البسيط الفاتر. وترى الآخرين فتطل نفسك هادئة ساكنة كأنك ما رأيت شيئاً او تشمئز وتنفر وتغر بذوقك فراراً.

وهذا شعب من شعوب الارض، يجد ويكدح وينتج ويحصد ايبع الثمار واحلاها، واذا له حياته الأدبية الناصعة وحياته العلمية الراقية وحياته العادية المهذبة ومشاعره الطامحة الى ما هو احلى من ذلك واسمى، الى المثل الاعلى المحجب في ظلام المجهول. وهذا شعب آخر، منصرف الى التعطل والفراغ، مخلد الى الكسل والخمول لا يعمل، ولا ينتج ولا يجود على الانسانية بخير. ليس له فن ولا علم، ولا ادب ولا طموح، بل ولا حياة ايضاً. الا كما تحيا ماشية الحقل وآبدة الجبل.

فما هو السر يا ترى في هذا التفاوت الواضح بين هؤلاء؟

ستقول: الحرية فكلما كان الفنان حراً في فنه، كلما اكتشف آفاقاً جديدة من السحر والجمال وبذلك يسمو على غيره ممن لا يعطي لفنه حرية الحياة

وهذا حسن لولا انه ان صح صرفه الى الفنان فانه لا يصح صرفه الى الشعوب لان كثيراً ما تجد الشعب حياً متفتحاً تزخر في عروقه دماء الحياة وعزمها، ومع ذلك لا يملك من الحرية ما يتكافأ مع حيويته ومتاحه وهو فوق ذلك تعليل للشيء بغير علته. وعندي ان السبب الحقيقي لهذا التفاوت هو: « يقظة الاحساس » لا الحرية لان حرية الفنان

في فنه ، انما هي اثر من آثار هاته اليقظة الروحية وثمرة من ثمارها فاذا تيقظ الاحساس في قلب الشاعر والفنان — بتعبير اشمل — كان له — بالرغم عنه — استقلاله الذاتي الذي يشعره بانه قوة حية منتجة ، من المستحيل ان تندمج في سواها ، وان لا تشق لنفسها سبيلاً نكراً للمجد والحياة. وكانت له كرامة ترفع عن ان تذوب في غيرها او تسحط الى درك التقليد وبذلك تصبح نفسه شعلة حية نامية تتوهج في قلب الحياة . وطائراً سماوياً يتغنى بافكار واحلام البشر واذا تيقظ الاحساس في روح الشعب تحركت في صدره — رغم كل شيء — تلك الاشواق الطامحة والرغبات الجامحة التي كانت مكبلة نائمة في ليل الدهور واذ ذاك يشعر بنفسه — واذا قلنا « يشعر بنفسه » فقد قلنا كل شيء — ويعلم انه عضو في هذه الجامعة البشرية عليه واجب السعي والعمل في سبيل كمال الانسانية المنشود ، في سبيل مثل الحياة العليا ، في سبيل الحق والقوة والجمال

واذا اردنا ان نستشهد التاريخ والواقع على ما نقول فهذا « المتنبي » الشاعر العربي وهذا « بيتهوفن » الموسيقار الالماني . وهذا « واطس » الرسام الرمزي الانكليزي وهذا « ميكلانجلو » المثال الايطالي . فكل من هؤلاء العظماء الاربعة قد كان له معاصروه ومعارضوه وانصار يون معه في سبيل واحد . ولكنهم انفردوا دون معاصريهم بالعبقرية الخارقة والمجد والخلود فما هو هذا السر الاعظم الذي جعل الانسانية تمجد هؤلاء تمجيداً لا تمنح معشاره لمن عاصرهم من الفنانين والشعراء ؟

انه يقظة في ارواح هؤلاء عدمها معاصروهم يقظة روحية عميقة سامية هي التي كانت تملؤهم شعوراً بانفسهم وبالحياة ومن شعر بنفسه حق الشعور احترمها وسما بها عن مواطن الضعة والحقارة . ومن شعر بالحياة حق الشعور لم يستطع ان يكون بوقاً يردد صدى غيره ولا بركة آسنة تعكس صفحتها ظلاله ... بل كان بحراً رحيباً داوياً يدمدم بما في اعماقه من قوة وعزم واهوال يقظة روحية عميقة . وتلك هي التي كانت تعلم « المتنبي » من سنن الحياة وغرائزها وقواعد الاجتماع ونواميسه ما لا يعلمه سواه وتنطقه بذلك الاسلوب الحي المتماسك الاجزاء المتلىء قوة وجمالا . وهي التي كانت تحلق حول روح « بيتهوفن » جواً شعرياً من الانغام السماوية الخالدة ، وتفيض على موسيقاه ما في هاته الحياة العاصفة وقلب الانسان من افراح راقصة في ضياء القمر ، وآلام متفجعة في ديجور الاسى ، واحلام تغني للفجر اناشيد الضياء واشواق ملتهبة بنار الوجد والحنين وهي التي كانت تجسد لـ « واطس » معاني الحياة والحب والموت ، وتريه من الاحلام والعواطف والافكار صوراً سحرية رائعة لم تخطر على قلب بشر وهي التي كانت تنبه « ميكلانجو » الى ما في تماثيل عصره من مرض وجور وجمال شاحب مهزول ، فكاد يقلب دمامة شوهاء في نظر الشعور الدافق والذوق القويم وتهيب به ان ينهض بهذا الفن المحتضر وينفخ فيه روحاً جديدة ليمتلىء جمال القوة المهيب

وهذه الامة العربية كانت بالامس رائد العالم ورسول المدنية والنور حين كانت روحها مستيقظة ناهضة ، واحساسها مضطرماً مشبوباً ثم امست

في آخر القافلة الانسانية نائمة تلوك احلام الماضي لما تبلد احساسها وفقدت شعورها بنفسها وبالحياة. ثم ها هي اليوم تحاول النهوض واليقظة ثانية لان روحها قد اخذت تستيقظ من جديد.

ثم ان هناك ظاهرة قد تكون لأول وهلة غريبة ومثارا للحيرة والتساؤل وهي ان الآداب والفنون، كثيراً ما تزدهر في عصور الثورات والانقلابات وبين الجماجم المنثورة والدماء الجارية. بل وربما كانت احياناً ابهى منظراً وأعمق شذى وأنطق بمعاني الحياة من آداب الراحة والأمن والسلام وفنونها. اما انا فلا أراها غريبة ولا مدهشة، بل اراها نتيجة منطقية ومعقولة لنفسية الامة الجائشة، لأن الثورات لا تحدث الا والنفوس اكثر احساساً بالحياة وملل من الحاضر، وشوق الى المستقبل، وطموح الى المجهول. وتلك هي يقظة الاحساس بمعناها الشامل العميق. وان شعبا يكون مستيقظ المشاعر متنبه حواس الحياة، لجدير بان يستخرج خير ما في الطبيعة من فن وحق. وان ربما يكون مصدره ذلك العطش الروحي الذي يلهب النفوس، وتلك العواطف الثائرة التي تعصف في قلب الشعب، وبعبارة اخرى، ان فنا يكون مصدره تلك اليقظة الروحية العميقة التي سميناها « يقظة الاحساس » هو الفن حي في صميمه، الفن الذي لا ينصرف الى القشور ولا يقنع بما دون اللباب.

ومن هنا تفهم معي ان يقظة الاحساس هي روح الحياة المتفتحة الورود التي تصقل العبقرية وتؤجج نيران النبوغ

# صفحات وامية

.. تلك حياة بعيدة ... تحلت كالفجر، وتوارت كالحلم، واضمحلت في ظلام القبور

تلك حياة جميلة قد تهادت غيمة وردية في سماء الوجود، وتدفقت نهراً مترنماً بأحلام المحار، ثم سارت جدولا صامتاً في اودية الموت

تلك حياة شعرية ساحرة. قد حاكها الامس من آصال الفردوس واسحاره، ووشتها انامل الدهر بأزهار الربيع

تلك حياة قصية نائية قد تألقت كالنجوم، وتبخرت كالغيوم، واضمحلت كأنفاس الزهور

تلك حياة فتية حالمة ما استحممت في لجة الليالي والايام، ونشرت غدائرها الذهبية فوق المياه حتى تخطفتها المنايا وسارت بها الى مأواها البعيد وهناك، في ظلمات الابد الغامض الرهيب، تتألم تلك الحياة الشقية، وتبكي وحدها بين الصخور

***

كنا نسير نحو الغاب، وكانت عمائم الحقول تحدثنا عن الحب

والحياة ، وكانت تقنع السماء سحابة رقيقة ساجية ، كأنها قناع حورية من بنات الاحلام . . او رداء ملك من ملائكة الفردوس . . وكان الغاب يبدو في ضياء القمر كرؤيا نبي او خيال شاعر .. وكان الحب يتهادى امامنا ، ثملاً بين المروج الناعسة في سكون ، الليل ،وعلى منكبيه درع قصير كضباب الصباح ، جميل كغيوم الربيع . ومن حوليه بنات الربيع يتناغين بصوت اعذب من اغاني السواقي بين الحقول ..

ولما اقتربنا من الغاب سمعنا طائراً يغني انشودة القمر ... وسمعنا قيثارة الحب تترنم في جواره ... وسمعنا صوتك العذب الجميل يتغنى بوحي الجمال ، يا ابنة الليل ، ويا ربة الاحلام

ولما جلسنا في ظلال الزيتون ، وبين اشجار اللوز المزهرة ، كان الطائر قد سكت ، وكانت قيثارة الحب تتأوه في يديك ، يا ابنة الليل ويا ربة الاحلام ، وكانت اناشيد الغرام تتنزل علينا من مكان بعيد

ولبثنا نصغي لانشودة الحب ، حتى توسط البدر قبة السماء واحتجبت كواكب الليل ، واذ ذاك شعرت بالحب يستجيش في قلبي ، وبالخيبة تتدفق من شفتي

***

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما كانت نفسي حوراً يتضوع في معبد الحب ، ورحيقاً يهرق تحت اقدام الجمال ، وانشودة الاهية تتغنى في هيكل هذا الوجود

تلك كانت حياتي بالامس، حينما تمايلت في قلبي رؤى الحب الجميل كما تمايل غلائل الحور في ضياء القمر، واصطفقت في صـدري احـلام الشباب الاولى، كما تصطفق امواج البحيرة الموردة بأشعة الشفق الجميل . .

تلك كانت حياتي بالامس، حينما كان هذا القلب الخفوق يتضوع بعبق الحياة، ويتوهج بنار الخلود، ويزخر بشتى العواطف الاحلام وحينما كانت نفسي تركع في محاريب الغاب الجميل، مرتلة صلاة الحب واغاني الفصول

تلك كانت حياتي بالامس، حينما طفح بقلبي خمر الحياة، وترنمت في نفسي اغاني الوجود، وراقصت احلامي عرائس الغابات ...

تلك كانت حياتي بالأمس، وما شيده الامس في ضباب الفجر المرصع بالنجوم ... قد هدمته الاهوال في احشاء الكهوف العابسة، وافنت بقاياه غيلان الظلام ...

تلك كانت حياتي بالامس، اما اليوم، فقد انكسرت بين ثلوج الموت تلك الزهرة السماوية الطاهرة، التي كانت تحبب لي البقاء في هـذا العالم، وبقيت وحدي بين الصخور، أنشد بالموت وأتعزل بأهواء القبور .

# اغنية الألم

ما امرك ايها الألم وما اعذبك !

ايتها المرارة ، التي اترعت اودية الحياة بأمواج الدموع ، وملأت آفاق الوجود بأنات النفوس الدامية !

ايتها اليد الرهيبة الهائلة ، التي حطمت على شفاه القلوب كؤوس الاحلام ، واراقت رحيق النفوس بكهف الظلام .

ايها الهول الذي ترهبنا ملامحه وتخيفنا ذكرياته

ايها الألم الرائع الذي نحبه ونخشاه

انك انت الشعاع الازلي الجميل ، الذي وشح طفلة نفسي بالشفق ، ورصعها بالنجوم ، وتوجها باضواء الصباح !

وانت ، انت الصوت الالهي النبيل ، الذي اوحى الينا اناشيد السماء ، وعلمنا كيف نغني للبشرية اغاني الجمال .

وانت ، انت المنبع السحري الغريب ، الذي يغمق حقل الانسانية المصرجة بالدماء ، بأوراد الحياة وازهارها

ايها الألم الالهي النبيل ، الذي نحبه ونخشاه . ترى اية شمت ترشفت رضاب الحياة ، ولم يطهرها لهيب الحياة ؟! واية زهرة تلمت قبل الربيع ولم يروع الشتاء احلامها ؟! واية نفس بشرية عانق الفجر روحها بجناحيه ، ولم تراقصها اهوال الظلام ، ولاعدتها انالسة الجحيم ؟!

لنجث ايتها الحياة ، على قدمي ذاك الجبار الجميل ، المحدق عما وراء هذا الوجود

ولنسجد ايتها الليالي والايام ، الى تلك الاجنحة النارية المشبوبة باوجاع القلوب ، والتي تسمو بالنفس البشرية الى اقصى آفاق الخلود ، وتنحدر بها الى ظلمات الحياة أيان تضطرب عواطف الوجود الغامضة ، وترتمش شكوك البشر ، وتتمايل احزان الدهور أيان تلقى (المعري) لزومياته ، وتعي (الخيام) رباعياته ، ويرتل الخالدون الجميل الحياة !!

ولتغن يا قلبي بانشود الاحزان المرة الى الابد !

لتركع ايها الوجود بخشوع امام تلك القوة الالهية ، التي تصوغ من دماء النفوس واناتها اقدس ما في هذا العالم ، وابدع ما في مشاعر الايام ، وتنشيء من ظلمات القلوب صباحاً ساحراً سرمدياً ، لا تكدره الرياح .!

ولنقدس ايتها الليالي والايام ، تلك الاشعة الوردية الصافية ، تنبت حول جداول الاحلام الدامية ، هاتيك الزهور النارية المقدسة ، التي تستشيء عبيرها من لوعة (المحزون) واعيائه . ولتترنم يا قلبي باغنية الآلام المرة حتى الابد !

لتصل ايتها الكائنات بخضوع امام ذلك الضباب السحري ، الذي يستر بنقابه عرائس الشعر وعذارى الاحلام . !

ولتعن ايتها الليالي والايام ، بمجد تلك الشعلة الخالدة ، التي انارت للبشرية سبيل الحياة الغامضة ، وهدتها الى شجرة المعرفة ، التي لا تنبت الا على ضفة نهر الدموع والاحزان ولترتل يا قلبي في سكون ، اغاني الاوجاع المرة حتى الابد !

ولتمجد يأيها الغاب المنتحب ، ويأيها الوادي الكئيب ويأيها الكهف الاخرس ، ويأيتها الحيرة الواجمة ، ويأيتها الحياة المعمورة بالدماء ، ويأيتها الانسانية التائهة ، المتوجة بالاشواك ، الريانة بالدموع ، السائرة على بساط لهيب الاوجاع ، لمقدس كلما ذلك الألم ، الذي يجعل من الشعر قيثارة غريبة غامضة ، مطرحة في ملتقى رياح الوجود ، صداحة باغاني الحب والجمال !!

لترتل يا قلبي الكئيب البائس ، انشودة الآلام ثرة بالدموع ، ولترددها على مسمع الظلام حتى الأبد !!

# فهرس

## الدراسة


| | | | |
|---|---|---|---|
| ٣ | الاهداء | ٥٠ | الادب المهجري |
| ٥ | مقدمة | ٥٩ | تصوير وتعبير |
| ١٥ | الحياة الثقافية | ٧٠ | رواح وحب |
| ٢٤ | حياة الشاعر | ٧٨ | مؤلفات الشابي |
| ٣٣ | البيئة الاجتماعية | ٨٠ | خاتمة |


## المختارات

### « ما قبل العشرين »


| | | | |
|---|---|---|---|
| ٩٩ | شعري | ١١٦ | مأتم القلب |
| ١٠١ | تونس الجميلة | ١١٨ | الأمل والقنوط |
| ١٠٢ | رثاء الفجيعة | ١١٩ | شكوى اليتيم |
| ١٠٤ | الحرب | ١٢١ | أيها الليل |
| ١٠٥ | لعلعة الحق | ١٢٥ | أنشى الأيام |
| ١٠٦ | في الظلام | ١٢٦ | أيها الحب |
| ١٠٧ | الزنبقة الذابلة | ١٢٧ | حيرة |
| ١٠٩ | الدموع | ١٢٨ | صوت خفي |
| ١١١ | أغنية الأحزان | ١٣٣ | نشوة لوعة |
| ١١٤ | نظرة في الحياة | ١٣٥ | يا شعر |

## « ما بعد العشرين »


١٤٣ مناجاة
١٤٦ الايمان بالحياة
١٤٧ الجمال المنشود
١٤٩ يا ابن امي
١٥١ الى طغاة العالم
١٥٢ ارادة الحياة
١٥٦ صلوات في هيكل الحب
١٦٠ الساحرة
١٦٣ الحاني السكرى
١٦٦ تحت الغصون
١٧٠ قلب الشاعر
١٧٢ الابد الصغير
١٧٤ قال قلبي للاله
١٧٥ زوبعة في الظلام
١٧٦ قلب الام
١٨٢ انا ابكيك للحب
١٨٤ الجنة الضائعة
١٨٩ اغاني التائه
١٩١ في ظل وادي الموت
١٩٣ الاشواق التائهة
١٩٥ الرواية الغريبة
١٩٦ الناس
١٩٧ امل الشاعر
١٩٨ النبي المجهول
٢٠٢ ايتها الحالمة بين العواصف
٢٠٣ في ظلال الغاب
٢٠٦ فكرة الفنان
٢٠٨ من اغاني الرعاة
٢١١ نشيد الجبار
٢١٤ الصباح الجديد


## « نماذج من النثر »


٢١٩ الشعر
٢٢٥ يقظة الاحساس
٢٣٠ صفحات دامية
٢٣٣ اغنية الالم
٢٣٨ فهرس

# جدول الخطأ والصواب

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
| --- | --- | --- | --- |
| ٦ | ١٨ | التابي | الثاني |
| ٧ | ١٨ | ثانيها | ثانيتها |
| ١٠ | ١٠ | اصعر | اصغر |
| ١٧ | ٤ | الحس | الحسن |
| ١٨ | ٣ | الخجاب | الحجاب |
| ١٩ | ١ | ن | إن |
| ٢٩ | ١٨ | ابيك | الكيك |
| ٤٠ | ٢ | اعانيا | اعاني |
| ٥٠ | ١ | أن | إن |
| ٦٣ | ٧ | عدى | عدا |
| ٦٤ | ١٠ | عربية | عربية |
| ٧١ | ٤ | عماعم | عمائم |
| ٧٦ | ١٠ | نقياه | نقاياه |
| ١٠٦ | عنوان | في الطلام | في الظلام |
| ١٥٠ | ١ | تحتي | تحت |
| ١٥٠ | ٢ | رواه | رواه |
| ١٥٩ | ١٣ | ان | ان |

من منشورات

## المكتبة العلمية ومطبعتها

شارع المعرض – بيروت

●

| | |
|---|---|
| عبقرية العرب في العلم والفلسفة | الدكتور عمر فروخ |
| الاسرة في الشرع الاسلامي | « « « |
| عنترة العبسي – دراسة | اديب فرحات |
| كهان الهيكل – قصة | الدكتور جورج حنا |
| اميركا بلاد الحريات المريبة | ترجمة |
| مخادع الحب منذ ليلة الزفاف حتى الولادة | ترجمة |
| مجموعة كتب للاطفال | رشاد المغربي دارعوق |
| كفاح وحب – مجموعة من الشعر المنثور | ابو القاسم محمد كرو |

## تحت الطبع

| | |
|---|---|
| شاعران معاصران ( الشابي وطوقان ) | الدكتور عمر فروخ |

مطابع دار الكشاف – بيروت